





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
أحمد حسن الزيات

الإدارة  
بشارع الساحة رقم ٣٩  
بالقاهرة  
تليفون ٤٢٩٩٢

# المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

تصدر مؤقلاً في أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة  
٢٠ عن ستة شهور  
٦٠ عن سنة في الخارج  
١ ثمن العدد الواحد

الاعتمادات  
يتفق عليها مع الإدارة

العدد الثالث عشر - القاهرة في يوم السبت ٢٢ ربيع أول سنة ١٣٥٢ - ١٥ يوليوس سنة ١٩٣٢ - السنة الأولى

## شروح وحواشي

الشعر بعد أميره : عام مضى أو كاد على يرمى حافظ وشوقي !  
فهل شغبت القلوب الدامية عنهما سلوان ، وعزى النفوس الآسية  
منهما عرض ؟ لا يزال الجزع يهفو بالأقنعة على مستقبل الشعر  
اليتيم ، ولا يزال الصمت الموحش يقبض الصدور في خنازل الوادي ،  
بلى ، نشط في مصر القريض ، وتجاوبت الأفراسخ التواضع بالآغاريد ،  
ولكن أصواتها الناعمة الرخوة لم تملأ الأسباع ولم تطرد الوحشة ،  
ولاحت في سورية المهاجرة مواهب النبوغ ، ودلائل القيادة ،  
ولكن البعادي يد الصوت القوى ، والاعترا بيو من الجهد الجهد .  
كان اسم حافظ واسم شوقي عليين على الشعر في العهد الأخير ،  
وكان الناس يؤمنون بقوة أدبية لازمة تظاهر نهضتنا ، وتسائر  
ثقافتنا ، في هذين الشاعرين . فكما خفقت القلوب لغزوة من الألم ،  
أو لنشوة من الأمل ، أصغت الأسباع تنتظر من رياض (الجيزة)  
أوربي (حلوان) تلحين هذه العواطف ، أو تدوين هذه المواقف .  
فلا خلا مكان الرجلين وقع في الأوهام وجرى على بعض الأقلام  
أن تلك القوة زالت وأن زمان الشعر ذهب الخاول عشاق الأدب  
ورواض القريض أن يقرأوا في الرموس سلطان هذا الفن ، ويقرروا  
في النفوس وجود هذه القوة ، لحشدت جماعة (أبولو) جميع وحداتها ،  
وعزفت جوفتها على جميع آلاتها ، وشرقت الصحف والمجلات  
بفيض القرائح الشابة ، ودعا الكهول القراع إلى عقد موسم  
للشعر ، والزمن الذي يمحس الأشياء فيني البهريج ، الزائف  
ويثبت الحق الصريح ، هو الذي يعرف مكان هذه الجهود ، من  
عالم الفناء أو من عالم الخلود

## فهرس العدد

صفحة	
٢	شروح وحواشي : أحمد حسن الزيات
٥	لغو الصيف : الدكتور طه حسين
٧	أسمة الله هذا الشعر : الزيات
٨	رأى في أوراق الورد : للأستاذ عفيفة سيد
١٠	دود على عود : الدكتور محمد عرض محمد
١٢	توفيق الحكيم : الدكتور طه حسين
١٦	علاقة الأشجار : الدكتور محمد بهجت
١٨	البقرة : للأستاذ الحرمانى
٢٠	بلاط الشهداء : للأستاذ محمد عبد الله حنان
٢١	الروح شوقي : لعمر أبو قوس
٢١	دجلة : لرفيق فاخوري
٢٢	الحرية في الكتابة : لهند قدرى لطفي
٢٣	عكاظ والمريّة : للأستاذ أحمد أمين
٢٦	شوقية لم تنشر : (الفرق بالحيوان)
٢٦	بين صباد وأسد : للأستاذ جميل صدق الزماوى
٢٦	الحريف : لخليل هندارى
٢٧	عقرب : لشفيق المفلوف
٢٨	بين صديقين : للأستاذ يعقوب قدرى
٣٠	لامرئين والحريف : لمحمود فهمى اندرس
٣٢	الاشماع : للدكتور أحمد زكي
٣٥	دموع بريّة : للأستاذ محمد الحنيف
٣٩	البحر جندلي : للأستاذ الصرافى محمد
٤١	أهل الكهف : للدكتور على مصطفى مشرفة
٤١	التجريم في مسالكها : أ . ح .
٤٢	رحلة إلى بلاد الهند المفقود : م . الحنيف

**موسم الشعر :** وقع في نفس الأستاذ المراهوي منذ شهرين ان يدعو الشعراء الى مواضع الراى في اقامة موسم للشعر ، فلي فريق ، وثاني فريق ، ورأت جماعة ( ابولو ) في الدعوة احتكارا لفضل الفكرة ، واقتصارا على بعض أغراض الشعر فأهملتها ، ثم قررت ان تقوم هي بمهرجان سنوى جامع . ثم سعى بين الجماعتين ساع من حسن النية وشرف القصد فاتفقتا على العمل معا ، ثم اجتمع اعضاؤهما في دار لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ونظروا في نظام الجماعة ومنهاج العمل ، ومضى الشعراء الموظفون بكسوف من معالي وزير المعارف شرف الرأسة للموسم فاجاب الملائس ، ثم اضطربت الالسة والاقلام بالفكرة التي قام عليها ، والغاية التي يقصد اليها ، فلم يخض مع الخاضعين وانما تحدثنا الى القائم بالدعوة نستجلى منه الغرض فما أجاب الا جمجمة ، فقلنا ليس في الامر اذن الاقصائد تنشد على المسرح ، وتصفيق يدوى في المحفل . ثم ربح لينة تذهب رخاء بهذه الاصوات الى مجاهل الأبد .

ولكن موسم الشعر تولى أمره نفر من كبار الأدباء فرسموا خطته وعينوا وجهته ، ونشروا ذلك في يان للناس لجميل وجوده أمرا لا شك فيه ، وتسجيله عملا لا بد منه .

أصبحت ( جماعة موسم الشعر ) بحكم البيان المنشور بحما أدياله وسائله وله أغراضه . فأما وسائله فقرض الشعر للنصح ووضع البحوث في الأدب ، والقاء المحاضرات في الموسم ، وأما أغراضه فأقامة موسم عام للشعر العربي في مدينة القاهرة . و ( العمل للاحتفاظ في الشعر العربي بقوة الأسلوب ووضوحه ، والجرى على ما تقتضيه ضوابط اللغة من الصحة وما تتطلبه خصائص البيان من بعد الأسلوب عما يضعفه أو يضيئه في غيره أو يقطع صلة حاضره بماضيه ، وتقريب ما بين الشعر العربي وغيره مع المحافظة على السنن العربي والعمل لتنوع أغراضه وقونه وأخيلته ومعانيه ، وإبراز الحياة الحاضرة والمدنية القويمة في صورها الصحيحة ، والمحافظة في الشعر على الذوق العربي مع مماشاته لحاجات العصر وروحه . وتوجيه الشعراء الى القيام بحاجة العامة والتلاميذ من الشعر في أغانيهم وأناشيدهم ، وحفز مواهب الشعراء الى تهبة السبل لظهورها والانتفاع بها ، وخدمة اللغة العربية ونشر آدابها وتقويم ملكاتها وتنمية ثروتها من الالفاظ والمعاني والاخيلة ، وتوثيق الصلات الأدبية بين مصر والاقطار العربية الاخرى . )

والرسالة تؤيد هذه الاغراض السامية من غير تحفظ ، وتدخر غبطتها بها وتصفيقها لها ليوم التنفيذ ؛ فان صوغ الأمانى ووضع الانظمة واذاعة العزم شيء ، ونجويد العمل وتنفيذ الفكرة وتحقيق الغرض شيء آخر . ولعلك تذكر ان ( مجمع اللغة العربية الملكية ) سن له قانون ، ورصدت له أموال ، ورشحت له رجال ، ودعيت اليه دعوة ، ووعدت به حكومة ، ومع ذلك قد انقضى عليه عام وهو لا يزال كما كان منذ سنين عدة من عدات المنى ، وحديثا من أحاديث الظنون !!

**عيد المولد :** لعل أروع المظاهر الاسلامية في مصر مولد الرسول ، لانه ائتلاف منسجم من جلال الدين وأبهة الحكومة وابتهاج الشعب ، ولكنه كذلك أدل الدلائل على البطء الفاتر في شيوع المدنية وارتقاء الذوق في مهد الحضارة القديمة ، واسبق الشرق القريب الى الحضارة الحديثة !

ان كنت ذهبت الى هذا الاحتفال منذ بضعة أيام ، فتق أنه هو الذي ذهب اليه أجدادك منذ عشرات أعوام : خيام مضروبة على الثرى الجديب ، ومطاعم منصوبة على الطريق المغبر ، وملاعب كتماذج الصناعة في عهد ( ما وراء الفن ) ، وملاء يراها المثقف فيظن نفسه في مصر غير مصره ، أو في عصر غير عصره !

أظهر المظاهر في هذا العيد شيان : الاسهم النارية . وهي الشيء الوحيد المدني . لأنها الشيء الوحيد الاجنبى والحلوى ، وهي موضع البلوى ومحل النظر : حوانيت خشبية وقبضة ثابتة أو متقلبة ، تكدست فوق رفوفها البالية ألوان ( السسمية والحصبية والسكرية والعلف ) ، ثم قامت على حواشيا تماثيل وعرائس هشة من الحلوى الرديئة ، عليها غلاتل فاقمة الألوان من الورق المصبوغ ، وكل ذلك في غير ذوق ولا جمال ولا فن ، وكل ذلك من غير غطاء ولا وقاء ولا ستر ! انما هي مهيطة للذباب والغبار ، طول الليل وطول النهار ! يراها الخاصة فيشمزون من شكلها القبيح ، أو قدرها البادى ، وبانعها الوسخ ، ويحملها العامة الى بيوتهم في المناديل الغليظة والجرائد القديمة فيحملون مثابة للنمل ومبابة للجراثيم !

أن حلوى عيد الميلاد في ديسمبر ، وألعاب يوم الحرية في يوليو ، مثلان أجنيان في سلامة الذوق وجمال المظهر وحسن المناع ، فلتبق حلوانا وطنية ، ولتبق ألعابنا شرقية ، ولكن ارتقوا بالذوق والجمال والصحة فأدخلوا عليها شيئا من المدنية !

**معرض الزبائن**

# لغو و الصيف

للدكتور طه حسين

— ٢ —

من هنا ، يا استاذ من هنا ! وانفذ لي في أن اسمي بين  
يديك فلا بد لك من دليل . ثم سعت امامه رشيقه انيقة  
في طريق طويلة جميلة ، يحفها من جانبيها الشجر والزهر ،  
وفيا قليل من ضيق ، وشئ من التواء . وقد استمتعت  
الاشجار القائمة على جانبيها بشئ من الحرية عظيم لا يستمتع  
به الناس في هذه الأيام ، فدت اغصانها كما شاءت في غير  
نظام ، حتى اختلط بعضها ببعض والتف بعضها ببعض . وجعلت  
الآنية تسمى أمامي رشيقه رفيقة ، وتجدد في التفريق بين هذه  
الاغصان الملثثة المتعاقبة لتشق طريقها وطريق صاحبها ،  
وكانها كانت تجد في ذلك شيئاً من العسر اللذيد ، فكانت  
تحاول ان تعتذر بهذه الجمل السهلة اليسيرة الفارغة التي تقال  
في مثل هذه الحال : ليست الطريق سهلة هنا ، يجب أن تحتاط ،  
وما رأيك في هذه الاغصان التي تريد أن تداعبنا وان لم  
نطلب اليها المداعبة ؟ حقاً لقد اسرفنا في اهلاك هذه الاشجار  
فاسرفت في الانتفاع بحريتها . وكان صاحبها يجب على هذه  
الجمل بضحك فارغ لا يدل على شئ . الا على انه لم يكن  
يجد ما يقول . لأنه لم يكن يسمع لهذه الجمل التي تاتي الا  
باحدى اذنيه . وقد كانت نفسه كلها مفتونة بهذه الطبيعة  
الحرّة المطلقة ، وبما بينها وبين حياة الناس في هذه الأيام  
من تناقض واختلاف . ولعله كان يعجب بهذا القوام  
المعتدل الذي كان يسعى أمامه في رفق ، ويجاهد هذه الاغصان  
في لباقة وظرف ، ولكنه كان يخفى حتى على نفسه هذا  
الاعجاب الذي لو أحسته صاحبه لصافت به ضيقاً شديداً .  
حتى اذا طال سعيهما في هذه الطريق الخفية الملتوية اتنيا  
الى رقعة واسعة رجة من الارض ، قد فرشت ببساط ناعم  
كثيف من العشب ، وانتشرت فيها قطع بديعة من الزهر ،  
قد نسقت أحسن تنسيق واجمل ، وقامت في وسطها مائدة  
قد نثرت عليها أوراق الورد في كثرة تلفت النظر . فلما

اتنيا الى هذا المكان الهادئ . الباسم الجليل ، ارسلت من  
صدرها زفرة ضاحكة وهي تقول : لقد انتهى الجهد وأن  
للتعب أن يستريح ، اجلس ياسيدي فها يحسن الحديث  
فيما اظن . قال : بل هنا يحسن الاستماع . قالت : الاستماع  
لمن ؟ الاستماع لماذا ؟ قال : الاستماع لك والاستماع لهذا  
الصمت الناطق من حولنا . قالت : دع عنك الاستماع لي  
فما احسب الا انك قد سئمت . او سئامه ، وما أحب  
الا انك قد زهدت فيه او سترهه فيه حين يتأفف بيتنا  
الحوار . فيتأفف بيتنا الحوار من غير شك ، ولكن  
حدثني عن الاستماع للصمت كيف يكون ؟ وحدثني عن  
الصمت كيف يتطرق أو كيف يصدر عنه الكلام ؟ وكانا  
في أثناء هذا الحديث قد أخذنا مكانهما الى المائدة وجها  
لوجه . وكان صاحبها حائر النظر بعض الشيء . يردده بين  
السماء والارض ، ويردده بين قطع الزهر المنتشرة من حوله  
وبين آنية الزهر القائمة على المائدة ، وبين أوراق الورد المنتشرة  
بين يديه . قالت : الست قد زعمت لي منذ أيام انك تحب لثم  
الورد وشم القرنفل ؟ فهذا هو الورد تستطيع أنت تمتع  
نفسك به كيف احببت ، انظر اليه محتالفا الوانه مسنويا على  
سوقه ، بعضه قد هام بالحياة والضوء فانبط لها انبساطا واخذ  
يلتهمها التهاماً ، وبعضه قد احبها ، ولكنه يسمو اليها في  
استحياء فيفتح لها قليلا قليلا ، وبعضه يحسبها وينعم بها ،  
ولكنه لا يكاد يشعر بهذا الحس وهذا النعم ، فهو أكام  
لم تفتح بعد . وانظر اليه اسيرا في هذه الآنية لم يبق فيه  
من الحياة الا ذماء يسير يحسكه عليه هذا الماء الذي تحنوه  
الآنية . وانظر اليه صريعا قد فقد الحياة وتفرقت أوراقه ،  
وانتشرت بين يديك غضة ، ولكنها تسرع الى الذبول أو  
يسرع اليها الذبول . وهذه زهرات من قرنفل قد هيئت لك  
وفرت في آنية الورد تبعث اليك عرفها هادئا قويا . فاذا  
تردد فوق هذا ؟ قال : لا أريد الا أن تمضي في هذا  
الحديث الذي اخذت فيه منذ الآن ، فاني لا أعرف ترجمة  
عن هذا الصمت الذي كنت اريد ان اسمع له ابلغ من  
هذه الالفاظ التي ينثرها حديثك العذب . قالت : وما زلت  
مشغوبا بالعبث لا تفرغ منه الا لتعود اليه . لقد انبأني عن  
حبك للورد والقرنفل ، فها أنت ذا بين الورد والقرنفل ،  
فحدثني أنت بحديثهما فانت أعلم به واقدر عليه مني . قال :



ما اعرف يا آفنة ان لها حديثا يحكى ، فان كان لها حديث فاعرف ان احدا يستطيع ان يحكيه غيرهما فاستمعي لها ان شئت ، وغيرك فاستمعي حديثها ان شئت ، فانما انت زهرة بين الزهر . قالت : كأنك تريد ان تحفظنى . فاعلم أنك لن تبلغ ما تريد ، ولن تثير حفيظتى ، ولن تصرفنى عما ازمعت من ان اسمع منك حديث الورد والقرنفل . فلا تلتو به فلن ينفعك الاثواء . واقبلت خادم تسمى وهى تحمل صنية عليها ابريق واكواب . فوضعت ابريقها ، وصفت اكوابها ، وانصرفت مثاقلة . وكانت عجوزا شططا . قد انحنت قامتها ، واسرف الذبول في وجهها ، فلم تكذب في قطرة من حياة . وكان منظرها في هذا الغناء مناقضا أشد المناقضة لما يحيط بها من هذه الحياة القوية ، فهم ان يتكلم ، ولكن صاحبته قالت وقد فهمت منه ما كان يريد : ومع ذلك ففى انشطتك للحياة ، واحرص منك على نعيمها ولذاتها ، لا يفترها موسم ، ولا يفتر منها عيد . ولا تقصر عن فرصة ان تسبح لها لتشارك فيها راء الناس سعادة ونعما أولها وصفوا . وهى بعد هذا كله صماء مفرقة فى الصمم تستطيع ان تتحدث اليها وتصيح بها فلن تسمع لك ولن تفهم عنك . وهى بعد هذا وذاك قد نيفت على الستين ، ولكن هات حديث الورد والقرنفل . ثم عمدت الى الابريق فلأت منه قدحين وهى تقول : لقد انسيت ، فهذا يوم الورد تستطيع ان تراه وان تشمه ، وان تلمسه وان تلمسه ، وان تشربه أيضا . فليس فى هذا القدر بين يدك إلا ماء الورد .

والآن تحدث ، فقد يحسن الحديث . قال : أى حديث يحسن فى مصر وما اعرف بلدا افصح لسر الحديث ، واكلف بنشره واذاغته من هذا البلد . انذكرين ؟ قالت : وكيف لا اذكرا أنك تشير الى مجلسنا ذاك على شاطئ النيل ، وإلى حديثنا هناك عن شيوخ الادب وشبابه . فقد نشر هذا الحديث فى الرسالة . قال : ومع ذلك فلم يكن فى مجلسنا ولا قريبا منه احد . قالت : ولست انت قد القيت الى من اذاغته ، هذا شئ لاشك فيه . قال : ولا أنت ، هذا شئ لم يخطر لي . قالت : واذن ؟ قال : واذن فهو طائر من هذه الطير التى تؤوى الى الاغصان اذا كان الاصيل ودنا الليل فتسمع حديث الناس وتعيه ، وتلقيه فى روع الكتاب والشعراء . أو هو جني من هذه الجن التى تألف شاطئ النيل فتقيم فى ظل الاشجار التى تقوم عليه ، أو تسكن تحت هذا الماء الذى يجرى فيه ، وتسمع احاديث الناس والاشياء وتعيها فتقلها

الى الكتاب والشعراء وتنطق بها السثم ، ويجرى بها اقلامهم . ولهذا لست مسرقا فى حب الحديث ، وفى حب الحديث عن هؤلاء الذين لا يحبون ان يتحدث الناس عنهم الا بما يريدون لا بما يريد الناس . قالت : من الظواهر التى لا تحتاج ملاحظتها الى دقة ولا الى ذكاء ان مصر مفضية للسر ، قليلة الحرص على الكتابان . انظر الى بيتاتها المختلفة ، فلن ترى لها سرا . احاديث ساستها وقادتها وادبائها واصحاب الاعمال فيها ذائعة شائعة يعرفها الناس جميعا ويتناقلها الناس جميعا . ومن هذا فى أكبر الظن ان طبيعة مصر نفسها صافية واضحة ، مفرقة فى الصفاء والوضوح ، ساؤها صحو دائما ، لا يتكاثف فيها الغمام ، ولا يتراكم فيها السحاب ، وارضها مبسوطة هينة لا ترتفع فيها الجبال الشاهقة ، ولا تنتثر فيها الكهوف والاعوار ، ولا تنبت فيها الغابات الكثيفة الملتفة ، فأمرها كله ظاهر ، وحديثها كله شائع ، وشمسها المشرقة دائما لا تؤتمن على سر مصون . على اننا لم نقل فى حديثنا ذاك شيئا يسوء الادباء أو يفضى أحدا ، فليس من اذاغته بأس وان كنت لا أحب ذلك ، ولا ارناح اليه ، ولا أخفى عليك انى انما أثرت أن يكون اجتماعنا الليلة عندى لأنى واثقة أن لنا من العزلة ما نحب ، وبأن أحدا لن يستطيع ان يندس لنا ، أو يسمع علينا . قالت : الا هذه الطير التى تؤوى الى الاغصان اذا قبل الاصيل ودنا الليل ، والا هذه الجن التى تستظل بالاشجار وتتضائل احيانا حتى تتخذ لنفسها منازل فى ثنايا العشب وبين أوراق الأزهار . فى هذه الطير ، وفى هذه الجن ، وفيما يحيط بنا من الزهر والشجر من يسمع لنا ويهم بما تنساق من ماء الورد ، وما يجرى بيننا من لغو الحديث ، قالت : وأي بأس بأن يذاع ما يجرى بيننا من لغو الحديث ؟ انما يكره الناس جد الحديث ويخافونه ، فاما لغو الحديث فالناس مزدرون له ، أو راغبون فيه . قال : وهل تظنين اننا نستطيع ان نأخذ بالجد حين نعرض للحديث عن الادب والادباء فى مصر ؟ وأين تجددين الجد فى حياة الادب والادباء ؟ أتجددنه فى هذا الحوار الذى يطول ويطول حتى يثقل ويميل حول الفاظ وقعت فى كتاب ، أو حول رأي وآه ناقد فى كتاب ، أو حول حديث كان بين كاتبين ، أو مناظرة يسيرة كانت بين أدبيين ؟ أليس هذا كله دليلا على فراغ البال واحتياج الادباء الى ما يشغلون به انفسهم عن هذه الاحاديث الطوال الثقيل التى تضع الوقت ، وتفتى الجهد دون ان تنفع او تفيد ؟ قالت : البقية على صفحة ٤٠ ،

## آفة اللغة هذا النحو...

أذكر أن الطالب الناشئ كان يدخل الأزهري فيجد أول ما يقرأ من كتب النحو شرح الكفراوي على متن الأجرومية، وهذا الكتاب شديد الكلف بالأعراب، يأخذ به المبتدئ أخذا عنيفا قبل أن يعلم كلمة واحدة من أقسام الكلام ووجوه النحو. يفتحه الصبي المسكين فلا يكاد يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) حتى يصيح به الشارح أو المقرر أن انتظر حتى أعرب لك البسمة! وهنا يسمع لأول مرة بحرف الجر الأصلي والزائد، ويعلم بطريقة حساية أن له في البسمة تسعة أوجه نشأت من رفع الرحمن ونصبه وجره، مضروبة في رفع الرحيم ونصبه وجره، ثم يمضي المعرب في إعراب هذه الأوجه بالتخريج المجيب والجملة البارة حتى تنفد قدرته عند وجهين لا يجد لهما مطلقا ولا مآتي فيمنعهما، وهما جر الرحيم مع رفع الرحمن أو نصبه؛ ثم يخشى بعد ذلك الجهد أن يعثر النسيان الساخر بهذه الدقائق الغالية فيسجلها في هذين اليتين وهما:

أن ينصب الرحمن أو يرتضا فالجر في الرحيم قطعا منما وأنت يجر فأجز في الثاني ثلاثة الأوجه خذ ياني! يأخذ الطالب هذا البيان على العين والرأس ثم يخطو خطوة فتقع عينه على العنوان الأول في الكتاب وهو (باب الأعراب)! وهنا يقول له الشارح: قل يا باب الأعراب بالرفع أو باب الأعراب بالنصب أو باب الأعراب بالجر فلن تعد وجه الصواب في أي حالة! فالرفع على أن (باب) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا باب الأعراب، أو على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره: باب الأعراب هذا عمله، والنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره: اقرأ باب الأعراب، وأما الجر فعلى أنه مجرور بحرف جر محذوف تقديره: أنظر في باب الأعراب! ثم يصعد الطالب في معارج النحو على كتاب من هذا الطراز بعد كتاب، حتى يتسهم ذروته، وليس في ذهنه مذهب صحيح ولا قاعدة سليمة. وماذا تنتظر من مثل هذا الخلط غير أفساد الذوق وأضماع السليقة، وطبع القرائح على هذا الفرار من التفكير العايت والتقدير الهزيل؟

جنى هذا النحو الفوضوي على الناشئين في معاهده فعمى عليهم وجوه الأدب، ثم فتح لهم من الجدل اللفظي والتخريج اللغوي أودية وشمابا يقصدون غايتها الطرف. فعندهم كل صواب يمكن أن يخطأ، وكل خطأ يمكن أن يصوب. وكل كلام على أي صورة يجب أن يفسر أو يؤول! أخرق القواعد، وأقلب الأوضاع، وانطق اللفظ على أي حركة، واستعمله في أي معنى، فأنتك واجد ولا شك من هؤلاء من يلتبس لك وجها من وجوه (البسمة) السبعة، أو يخرجها من مخارج (باب الأعراب) الثلاثة!

عرفت أيام الطلب شيئا قد ابتلى بهذه السعوزة، خشا جسمه بهذا العبث النحوي حتى ليرشحه من جلده، ويرعفه من أنفه، ثم يتكلم فيتمدد اللحن القبيح، فإذا انكر عليه منكر انفجر عن هذا الهوس فذكر لكل خطأ وجها، ولكل وجه علة، ثم يقول في تفيق وزهو: (لولا الحذف والتقدير، لفهم النحو الخير) وسمعت أن شيئا ضعيف البصر من يسوغ في فهمهم كل كلام، قرأ قول الرسول (ص) «المؤمن كيتس فطن، فصحتها: المؤمن كيس فطن! وراح يحملها على التشبيه فيقول: معناه أن المؤمن أبيض القلب كالقطن: وزعموا أن شيئا كبيرا كان يفسر كتاب الله وهو لا يحفظه، فرأى قوله تعالى: (أذيا يعونك تحت الشجرة) فقرأها أذبا يعونك... وكتب في تعليلها وتأويلها أربع صفحات من القطع الكبير بالحرف الصغير... وحدثوا أن تمتحنا من هذا النمط، كتب في ورقة طالب راسب: «لا يصلح»، ثم ظهر الأمر خارج عن ارادته أنه ناجح، فكشبت تحت هذه الجملة: «قولي لا يصلح، صوابه يصلح ولا زائدة»، والاحاديث مستفيضة عن نكبو ابذه، الدراسة دون أن يكون لهم من المنطق ضابط، ولا من الطبع دليل

...

إن ما نجده في النحو العربي من التناقض والشذوذ وتعدد الأوجه وتباين المذاهب إنما هو أثر لاختلاف اللهجات في القبائل، فقد كان رواة اللغة يرودون البادية ويشاقفون الأعراب، فيدونون كلمة من هنا وكلمة من هناك، فاجتمع لهم بذلك المترادفات والاضداد، وتعدد الجروع والصيغ للفظ، واختلاف المنطق في الكلمة، والنحاة مضطرون إلى أن يبطروا قواعدهم حتى تشمل

## رأى في أوراق الورد

للاّ نسمة عفيفة سيد

قلنا في العدد الحادي عشر في معرض الرد على الآفة الفاضلة عفيفة ، ان في الادب العربي الحديث طرفة من هذا النوع التي تريد من الرسائل الفرامية ، هي آفة من آيات الفن في دقة الصنعة ، ولعلها لا تقل جالا عن تماثيل « قدياس » وسور « رفاثيل » ولكنها كهذه التماثيل وتلك الصور يتفصها شيء واحد هو كل شيء : ذلك هو الروح » اردنا بتلك الطرفة أوراق الورد ( وقد كتبناها سهوا رسائل الورد ) للاستاذ الرافعي . ثم رجونا من الانسة عفيفة ان تقرأها وتبدى رأيها فيها ، فقرأتها ثم بعثت إلينا بهذه الرسالة

سيدى الاستاذ

ما كان الأمر يحتاج الى رجاء ، ورسائل الورد ، او أوراق الورد ، اسم مشوق يستميل القلب ويستوى النفس . ومن ذا الذي لا يسرع الى أوراق الورد لتبج قلبه ، وتزيل كربه ، وتهذيب احساسه ، وتغذى خياله ؟

غير اني لم اكّد أطلع رسالتين من رسائل الورد حتى عرفت سبب الرجاء ، وقلت لعل الأمر كان يحتاج الى ألف رجاء . اذ وجدت ان من العسير على بل من المتعذر ان امضى في مطالعتها ، وكدت ان ابعت اليك برأي فيها مكتوبة بما طالعت ، غير اني وجدت من الاسراف ان احكم على الكتاب بقراءة رسالة او رسالتين ، فضيت في المطالعة والله يعلم كم مرة انقبضت نفسي ، وكم مرة اعتراني الملل ، حتى زهدت في ان ادلى برأي فيها

ولعلك ياسيدى الاستاذ لو كنت دفعت بي الى الورد ، سببها عام مضت لوجدت في « البها » زهير ، صورة صادقة لنفسى ، ومرآة جليلة لعواطفى وشعورى ، بل لذكرنى لفظه الرقيق ومعناه الدقيق رقة طبيعة مصر وعذوبتها ، بل لوجدت في مقطوعاتها الحية ما يجملني ان اتخيل ان كاتبها معاصر لنا أكثر من كثير من معاصرينا الموجودين

حاولت ان اتقف على الفكرة التي تدور حولها ، أوراق الورد ، فلم اوفق ، ففى رسائل مفككة لا يتصل بعضها ببعض ، لا تترجم عن عواطف صحيحة ولا عن شعور صادق .

هذه اللحون ، وتستوعب تلك اللغات ، فاغرقوا القواعد في الشواذ ، وأفسدوا الاحكام بالاستثناء ، حتى ندر أن تستقيم لهم قاعدة ، أو يطرد عندهم قياس . وزاد في هذه البلبلة أن أسرف أعاجم النحاة في التعليقات الفاسدة ، والتقديرات الباردة ، متذنب لهم ذلك النهج ابن ابى اسحق الحضرمي ، لجملوا النحو ضربا من الرياضة الذهنية ، وأقضوا الجدلية ، التي لا يصلها باللغة سبب ، ولا يقوم عليها فن ولا أدب .

ليس من شك في ان دراسة النحو على هذا الشكل تفيد في بحث اللهجات في اللغة ، ودرس القراءات في القرآن ، ولكن دراسته لضبط اللغة وتقويم اللسان امر مشكوك فيه كل المشك . نحن اليوم وقبل اليوم انما نستعمل لغة واحدة ، ونلهج في الفصحى لهجة واحدة ، فلماذا لانجرد من النحو القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة ، وتقوم تلك اللهجة ، ونندع ذلك الطم والرم لمؤرخي الادب ، وفقهاء اللغة ، وطلاب القديم ، على الا يطبقوه على الحاضر ، ولا يستعملوه في النقد . وانما يلحقونه بتلك اللغات البائدة التي خلق لها وتأثر بها ، فيكون هو وهي في ذمة التاريخ وفي خدمة التاريخ ؟

لقد صنعت المدارس المدنية شيئا (١) من ذلك ، فنجحت بعض النجاح في تجريد « نحو » عام يكاد يسير في وجه واحد ، ولذلك لا تجد المتخرجين فيها يتقارعون في النقد بالنحو القديم ، ويقصرون المناظرة على هذا الجدل العقيم . ولكن فريقا ضئيل الشأن من بقايا الثقافة القديمة في مصر والعراق ، لا يزالون يظنون اننا مجبرون على اخضاع السنتا وافلامنا لتلك اللهجات البالية ، فيفقد بهم تخلف الذهن وضعف الملكة وكلال الذوق ، عند هذه البقايا الاثرية ينشون عنها قبور البلى ، ثم ينثرونها كالشوك في طريق الادباء الموهوبين ، ويتبجحون بأن هذا اللغو هو اللغة ! !

يقرأون الكتاب القيم للعالم الباحث ، أو للاديب المجدد ، فيعمون عن خطر البحث في نفسه ، ومجهود الباحث في بحثه ، ولا يرون الاحرفا وقع مكان حرف ، أو جمعا لم يجدوه في كتب الصرف ! لا تريد أن نسمي الاسماء ولا أن نضرب الامثال ، فحسب الشذوذ أن يدل على نفسه ، وحسبنا ان تهيب بالعلماء والادباء أن يشذبوا هذه الزوائد من لغتنا لتقوى ، وينحوا هذه الطفيليات عن ادبنا ليتنمش .

## الزيات

(١) تنول (شيئا) لان الكتب المدرسية لا يزال فيها امثال الاسم الواقع بمد لاسيا ، تابع المادى والوجه الحقة في المادى الضاف الى ياء المتكلم !



يعرض علينا الكاتب عواطف مبهمه فيها تكلف وفيها صنعة ، دون أن يبعث فيها شيئاً من شخصيته و مبوله وعواطفه . لا أثر فيها لروح الجماعة أو البيئة التي خضع لها الكاتب . هو متكلف متصنع ، والا لأطلق لشعوره العنان وترك نفسه على سجيته فلا يتسامى عن وصف الحياة الاجتماعية ، ولا عن الحوادث اليومية ، بما يسميه وحشواً ، لان المترجم الصادق هو من يعنى بالصغيرة قبل الكبيرة فلا يتقيد بقيود لفظية ولا ممنوية ولا يضع بيننا وبينه حجاباً كثيفاً

يسير الكاتب الى غرضه في المني القليل الى كثير من التعقيد اللفظي ، ليخلق منه فلسفة ، فاذا أراد أن يقول ما قاله شوقي :

لا أمس من عمر الزمان ولا غد  
جمع الزمان فكان يوم لفاك

يقول في صفحة ٢٤٥ :  
وقد عرفنا ان لنا أعماراً محدودة ، أفلا يجوز ان ساعات الهناء والسعادة انما كانت محدودة لانها اعمار لا اعمارنا ؟  
فبضعة اشهر من الجفاء أو البعد يكون عمرها هو ساعة اللقاء التي تنفق بعدها ، وستة كاملة من عمل يكون عمرها يوم سرور ان كان هذا صحيحاً فما اقصر عمرك يا عمرى ! ...

فها هو ذا شعر شوقي لفة لفظه وسهولة معناه ، يكاد ان يكون ثراً ، اما نثره أوراق الورد ، فحتاج الى طول اناة لتعرف قصده وتقف على مرماه .

أنا ياسيدى الاستاذ لم اعرف السرفى توجيهك نظري الى أوراق الورد ، فاذا كان قصدك ان تدفع بالبرهان قولك : ان الفن وحده لا يوجد الشعور فهذا الكلام لا يحتاج الى برهان ، وانا مؤمنة به كل الايمان . واما اذا كنت تعنى جاداً أن تطلعنى بقرائنها على جمال في الادب العربى الحديث ، لعله لا يقل جمالا عن تماثيل فدياس ، وصور ورفائيل ، فارجو ان يسمح لى سيدى الاستاذ ألا اشاركه هذا رأى ، فأوراق الورد لا جمال فيها اذ لا معنى لها بالمعنى مصدر الروح ، وهو ان حل في الشيء المادى كونه وناسب بين اجزائه ، وجعلها وحدة لا تنقسم .

اذن لا جمال حيث لا روح ولا وحدة ولا تعبير والمعنى مصدرها جميعاً

أرجو ان يتفضل سيدى الاستاذ فيلظني على موضع الجمال

فيا سانقله اليه نموذجاً لما اشتمل عليه الكتاب من رسالة في العتاب ( صفحة ٢٠٧ )

..... ما هذا ياسيدتى وليس خيط عمرى في ابرتك ... ولأما يتمزق من ايامى تصلحه وما كينة الحياطة ، بقدرتك ، وان كنت انا اقل من (انا) ، فلست انت باكثر من (انت)  
..... فان كان قلبك ياسيدتى شيئاً غير القلوب . فما نحن شيئاً غير الناس ، وان كنت هندسة وحدها في بناء الحب ، فما خلقت اعمارنا في هندستك للقياس ، وهى قلبك خلقاً ومربعا ، أفلا يسعدنا ضلع . من اضلاعه ؟ أو مذورا أفلا يمكنا محيطه في نقطة من انحناءه أو ارتفاعه ؟ وهيه ومثلاً فاجعلنا منه بقية في الزاوية ، أو مستطيلاً ، فدعينا نتمد معه ولو الى ناحية ... ما زال كتابنا يمضى سؤالا من القلب فيبقى عندك بلا جواب ، ، ونبيه نحن على حركة قلوبنا فتجعلينه انت مبنا على السكون ، ثم لا يحل له من الاعراب ... ألح ، أما الصور والتماثيل التي تفوز منا باعجاب الجبال ، فيكاد أن يكون لها روح ، أو لها روح بالفضل من معانيها التي حدث بعقريه المثال أو المصور الى تصوير الافكار الجياشة بمخيلته ، فهي معبرة عن الرجاء ، أو الحب ، أو الحكمة ، أو الخوف ، أو الوداعة ، أو الطهارة .  
وسقراط كان يقول عن خبرة انه يجب على المثال ان يصور حالة الذهن في تمثاله ، وكانت تماثيل الاغريق لها التركيب في تقرير مزاج الامة .

هذارأي في أوراق الورد ، وكم أحب أن أقرأ طمة الاستاذ الفاضلة .....

والرسالة تترك الكلمة للاستاذ السيد مصطفى صادق الرافعي

## اعتذار

بهادنا من الالة الفاضلة ناهد محمد فرهمي  
رد شير على زميلتنا (الهفة الفكرية) فرأينا  
الاعتذار الى الالة من حفظ الحفالة ، أسهرى علينا  
من فتح هذا الباب في الرسالة .



## دود على عود

للدكتور محمد عوض محمد

ها أنت ذا، أيها الصديق، قد استويت ومن معك على ذات  
الواح ودسر. وقد أذنت ساعة الرحيل، ولم يبق بد من الفراق،  
فلم نجد مناًصاً من النزول الى البر، تاركك على ظهرها، غير  
آسف لفراقنا، ولا مستشعر لوعنة على تركنا... وانطلق  
الصفيرو الزئير يشقان الفضاء، فاذا السلام تدرفت، والاهلاب قد  
جذبت من قاع البحر. وإذا سفيتك آخذة في الابتعاد على مهل  
كانها لا تريد أن تولنا بعدكم مرة واحدة؛ وإذا مناديلنا تخرج  
من جيوبنا يضاء ناصعة، وقد حملها الايدي اعلاماً تهزها هراً؛  
وبين الجوانح قلوب تخفق خفقان الاعلام، ولكن أعينكم لانراها.  
وها أتم أولاً. وقوف بأفريز السفينة، تخفق مناديلكم بأيديكم  
خفقاناً قاتراً، لم ينبعث من قلب حزين، ولا نفس آسفة؛ وعلى  
نفورك ابتسامة كعبت في ناولها وتفسيرها؛ وأحسبها ابتسامة  
الرائ. والاشفاق: إنكم ترثون لنا، معشر المقيمين، وتنتظرون  
الينا كائناتنا من نوع آخر غريب عنكم، نوع يعيش عيشة  
الاشجار: تنشا حيث تفرس، ثم تنمو عليها الفصون والاوراق،  
والزهر والنثر؛ وهي باقية في مكانها لا تنهزح؛ وكلما تقادم بها العهد  
ازدادت تشبهاً بمنبتها، وتعلقاً بمفرسها، لا تعرف ما ركوب البحار،  
ولا لذة التنقل والاسفار...

أجل كنتم تنظرون الينا نظرة اشفاق، وكانكم بعض الآلهة  
تلقى نظرة من السماء على ما دونها من الكائنات... وفي تلك  
الساعة رأيت دموعاً كثيرة تهمل، ولكنها كانت تتساقط من  
عيون المودعين، لا الراحلين... فياويل الشجي من الخلى اويأويل  
المجهود من المجدود!

...

وعجبت لك أيها الصديق، كيف ترحل عنا باسم الثغر، فريز  
العين مثلج الصدر. وأنت تعلم أنك راحل عنا أشهراً طوالاً،  
لاتراناً فيها ولا نراك، أليس للود القديم حرمة، ولا للحب  
لمؤلف رعاية؟ وهذا الوطن العزيز الذي أنبتك ثراه وغذاك

هواؤه، وأظلك دوحه، وأنضجتك شمس، مالك لانحس لفراقه  
جزعاً ولا أسفاً؟ بل كأنك بهذا الفراق جد مقتبط، ولهذا  
الرحيل مشتاق متلف لا تحاول الانكار ان سرورك بهذا البعاد  
أكبر من أن يخفيه التكلف، وما أنت عن يحسنون تصنع الأسف،  
بل إن بك شوقاً شديداً بادياً لمغادرة هذه الديار، وكأنك لا تحيا  
بيننا تلك الشهور من كل عام، إلا لكي تقضي هذه الأشهر بعيداً عنا  
فياعجباً! أي شيء هذا السم الزعاف الذي يملأ هواه بلادنا،  
ويحملنا على أن نجهد في البعد عنها، ويُفسر الابن البار من أمه  
البرّة؟ أهو هواؤها الحار، أم مجتمعا القاتر، أم ما يحيق بها من  
ظلم وجحود، ومن سحر سحر وضيق؟

أقد أخذت سفيتك تبعد، ولم تلبث أن اختفت عن الابصار  
وأضحت كأنها مل البائس لاتزداد على المدى إلا بعداً. وكأنني بك  
واقفاً على ظهرها، تنفس نفساً عميقاً، لكي تخرج من رتيك  
ما قد ثوى فيها من هواه؛ كأنك لا تريد أن تحفظ حتى بهذا  
القدر القليل من الذكرى... بل تريد أن تأخذ عدتك لحياة  
جديدة، وأيام سعيدة. فا أخلفك ألا تبقى للشقاء القابر في  
نفسك أثراً!

...

لكن أمامك في السفينة أيام لا أراي غابلك عليها، بين  
أناس قد اتخذوا الدعة شعاراً، يصبحون كسالى، ويمسكون كسالى،  
لا يعرفون رجداً ولا دأباً، أنصى مهمهم أكلة لذينة يصيبنها أو  
رقدة طويلة يستطيعونها، وما عرفت الناس أدنى إلى الانعام في  
مكان منهم على ظهر سفينة... قصاري جهد كل منكم أن يقتل  
الوقت، وأن يتخذ لذلك سبلاً شتى: فنكم العاكف على الشراب،  
لا يشقى غلبه الاسراف فيه. ومنكم المكب على الورق يتسلي  
بانلاف القليل من دراهمه أو الكثير. وبعضكم يلتمس اللهو في  
العاب تافهة، أو في تقلب صفحات كتاب هزيل. إذ لا يستطيع  
أن يحشم نفسه مشقة أو جهداً.

ولقد تقدم العالم في طريق المادة، وجاء الاختراع بسفن ذات  
قوة وجسامه، ولكن الركاب ما برحوا اليوم كما كانوا في قديم  
الزمن : دود على عود!

...

وأحببك توهم أن سيتاح لك وانت بالسفينة ان تلتقي بأعظم  
الرجال، واجمل النساء، ولست ادري على أي عهد قام في  
نفسك مثل هذا الرجاء؟ وهو لمعرك جدير بما يصيه من



الحياة المرة بعد المرة . انك تظن أن العظمة والجمال في العالم من الكثرة بحيث يجوز أن يكون لكل سفينة تشق البحار نصيب منها ، وخيل اليك أن السفينة خير دار تلقاها فيها ، حيث لا مفر لها منك . وأن المجال الضيق كفيلا بأن يجعل الناس بمضغ مقبلا على بعض ، والوقت طويل مديد ، لا بد للناس أن يتعاونوا على قطعه بالحديث والسر : فالفرصة اذن مؤانية — فيما كنت تزعم — لأن تتم نفسك بحديث العظمة ومراى الجمال . وما اشد ألمك حين ترى نفسك بين اناس ككل الناس ، او الله من كل الناس . وان المجال الضيق قد حال بينك وبين الحرب منهم . والوقت الطويل الفسيح قد حباك الفرصة اللازمة لأن تعجب كيف استطاع بنو الانسان ان يشتملوا على كل هذه الثقافة والبلامة .

لكن ، صدقنى ان الذنب ذنبك انت اذ تركت نفسك يخلق بها الامل الكاذب . فليست ام الدنيا ولودا للعظمة والجمال بالدرجة التى صورها لك الوهم . وما جل بنها لو قششت الا الطعام . وليس يبدع ان خلت سفينتك مما كنت تمناء ، ثم نظرت حولك فلم تجد على ظهرها سوى دود على عود

ولقد تشرق عليكم الشمس صباحاً ، وملؤها الروعة والبهاء ، فتخرج وجنات المشرق بالنجيع ، ثم تسكب على صفحة الماء نضاراً وسحراً ، وأنتم فى أسر تتم الضيقة القلقة راقدون ، يحاول كل منكم النعاس وسط دمدمة الآلات ، وصرير الأبواب والجدران ؛ فلا تصيرون من النوم سوى شيء غريب ، ليس بالنوم الهادى ، ولا باليقظة أو السهاد ، بل هو أشبه بغفلة المخدّرين ، تتخللها إفاقات قصيرة المدى . . . وأخيراً تمهضون من رقادكم المضطرب ، وقبل بعضكم على بعض تنهاتيون ، وتحدثون أنه الحديث .

وعند المساء تميل الشمس إلى الغروب ، وقد أحاطت بها السحب ، طبقات بعضها فوق بعض ، وهي تتحدرو وسطها فى شيء من الحيرة ، كأنما تلتبس بينها طريقها إلى المغرب . تارة تحتجب وراء سحابة فاتمة حمراء ، وطوراً تستر وراء أخرى استناراً جزئياً لا يكاد يخفيها ، كأنها الحساء فى الفلاة ، وتارة تنحسر السحب عنها تماماً ، فتبدو للعين كاملة ، لكنها ضعيفة لا تبهى البصر ، وكأن سير النهار قد أنهك قواها وأدال منها . فبات من السهل عليك أن تقف أمامها ، محدقا فى عجاها آمناً ، وهى كلما ازدادت ميلا إلى المغيب ازدادت ضعفاً وسقياً . . . لكنها استطاعت أن تملأ الساء بشعاع أحمر قاني . ونشرته أيضاً على صفحة الماء ؛ وقد اختلطت هذه الألوان كلها ببعضها ببعض ، فكان منها صور

تعجز الوصف . وأنت تذكر أيها الصديق ، اننا قد اتفقتا — وقبلنا تنفق — على أن هذا المنظر : الشمس الغاربة وسط السحاب المنشور ، فوق صفحات اليم ، هو أبدع شيء فى الطبيعة كلها . وما اخالك إلا ألما أشد الألم ، حين تنظر إلى من معك من أهل السفينة ، تحاول أن تتحدث اليهم بما يبعث هذا المنظر فى نفسك من إحساس وإجلال . . . وفى تلك اللحظة يؤذن مؤذن العشاء ، فإذا هم يغادرونك فى شمرك وسحرك ، ويتسللون إلى حجرة الطعام ، راغبين عن لذة لا يمتثلونها إلى لذة يفهمونها ويستمتعونها . . . وإن الصخور الصماء لنحس من معاني ذلك الغروب اليبديع أكثر مما تحسه أفئدة أصحابك هؤلاء . وما هم ، لعمرك ، سوى : دود على عود .

ولقد يكون البحر لكم أول الأمر صديقاً ، وبكم رفيقاً . ولكنه بعد ذلك قد ضاق بكم ذرعاً ، فأراد أن يريكم أنه مثلكم يابنى آدم ، ليس ذا وجه واحد . بل إن له أوجها كثيرة ، وقداراكم من قبل صفحة فيروزية زرقاء ، ووجها هادئاً ، أملس ناعماً . كأنه سهل فسيح من مرمر أزرق . وكانت جاريتم تجري عليه فى اعتدال واتزان ، لاتتهز ولا تميل وتلكم فرح بذلك مسرور . تحسبون أن الوقت قد طاب ، وأنكم بنجوة من العذاب . ثم رأى البحر أن يريكم وجها من أوجهه الأخرى . ففيس وتجههم ، وثار ومار ، وتطايير من وجهه الشرار . وانقلب صفاءه إلى كدر ، وهدوؤه إلى انفعال ، وحله إلى جهل ، وورذاته إلى درعونة ، وعلا موجه من كل جانب ، ووثب رذاذه على باخرتكم ، ودخل إلى نوافذ حجراتكم ، وجعلت السفينة تتمايل من اليمين إلى اليسار ، ثم من اليسار إلى اليمين ، ومن الخلف إلى الأمام ، ثم من الأمام إلى الخلف ، سكرى من غير سكر ، صرعى من غير صرع .

ولم تلك إلا لحظة حتى انقلب اطمئنانكم إلى اضطراب ، وامتلات نفوسكم جزعاً وقلوبكم هلعاً . وانصرفتم عن الطعام والشراب ، وعن اللعب والحديث ، واستحالت رؤوسكم إلى قطعة من صداع وأوجاع ، وضعفت أرجلكم عن حمل أجسامكم ، فارتجتم على سرركم ، وأسلمتم أمركم إلى بارئكم .

فيا عجباً ! لقد آمن الانسان فى الابداع والاختراع ، واستحدث كل هذه السفن الهائلة ذات السرعة والفخامة . . . ثم لا يزال ركبها اليوم كما كانوا فى عهد عمرو وعمر : دود على عود

تلك أيامكم على ظهرها أيها الصديق . وإنى لأرجو لك بعدها سقراً هيناً ورحلة ميسورة ، وما أجدرك ألا تجعلها كلها عبثاً ولعباً



## توفيق الحكيم

للدكتور حلى بهجت بدوى

أوجه النقص والكمال فيما لدينا من إنتاج لترسم صورته الحقيقية جميلة كانت أو قبيحة .

\*\*\*

وقد ظهر أخيراً كتاب أهل الكهف لتوفيق الحكيم وهو من نوع الإنتاج الذى أقصده . ولا أذكر كتاباً قابله النقد فى مصر بعناية وتقدير يمثل ما قبل به هذا الكتاب . ولست أتعرض هنا لنقده بعد أن وفاه حقه الدكتور طه حسين والإستاذة مصطفى عبد الرازق والمازنى وهيكى بك ومحمد على حماد وغيرهم من فضلاء الكتاب .

ذلك أن مؤلف أهل الكهف صديق وربما كان تقضى لنقد كتابه — والأمر كذلك — مثيراً لريبة مشروعة . وهل هناك من شك فى أننى سوف أحيط كتابتى بإطار من العطف الذى تبرره شريعة الصداقة ، أوليست الصداقة فى بعض وجوهها نوعاً من التعاون المخلص وضرباً من التأييد فى سبيل الجاح ؟

ولنأخذ حلالاً أن أكتب عن تاريخ حياة هذا الكتاب . وقد قدرت فى تلك الصداقة التى كانت تلقى الريبة على نقده توكيد لا غبار عليها للكتابة عن تاريخ حياته ، وما تاريخ حياته إلا وجه من تاريخ حياة مؤلفه ، وقطعة من شخصيته لعل أجدر الناس بالكتابة عنهما .

\*\*\*

منذ عشر سنوات خلت كان توفيق الحكيم طالباً فى مدرسة الحقوق ومؤلفاً مسرحياً ملحناً بمسرح حديقة الأزبكية ، وقد تقدم إلى هذا المسرح بروايات عدة بعضها مؤلف وبعضها مقتبس عن المؤلفات الأوروبية . وقد قرأت هذه الروايات فى ذلك الوقت وكنت عندئذ هاوياً لكل ما يتعلق بالمسرح . وكان من بين هذه الروايات رواية بمؤلفة عنوانها « المرأة الجديدة » وموضوعها مشكلة المرأة فى الجيل الحالى . وقد لاقى هذه الرواية من النجاح مالاقت ، وقد يكون دون ما تستحق وقد لا يكون ، وقد لا يزال توفيق الحكيم ينظر إلى رواياته الأولى بعين لا تخلو من الحنو والعطف ، وقد يكون هذا الشعور مفهوماً من جانبه ، أوليست أعمال الشخص كاطفاله إذا حظى السليم منها بالحب اختص العاطل منها بالعطف والحنان ؟

وكنت أنظر حينئذ إلى توفيق الحكيم بعين الأمل ، ذلك أننى كنت أراه منصرفاً إلى فنه تمام الانصراف ، فى إخلاص وإيمان ، شاعراً بأن هذا الفن يجرى فى دمه ، وهو لم يشعر بذلك شاباً فقط . وإنما هو همّ اختواه صيداً فرامقاً . فهو لا يعيش إلا

لشبابنا المثقف شكوى تواضع على صيقتها على اختلاف ألوان ثقافته ، وتلك الشكوى هى نقص الغذاء الفكرى فى الحياة المصرية . وقد كان لتبين وجه هذا النقص آثار بغيضة ، فهو أولاً منتشر فى النفس فى مزيج من السأم والنشأوم ، وهو على أى حال باعث فى العزيمة خوراً وفى الهمة فتوراً ، وهو بعد ذلك — وهنا وجه السوء — دافع إلى المبالاة فى التقدير . إذ كثيراً ما يصيب الصبغة الصحيحة هوى من النفس فتظل فى عرف الناس صادقة على مدى الزمن وإن تساقط بعد ذلك وجه الصواب فيها . وكان من أثر هذا النقص أن نظر الشباب إلى الجانب الفكرى من الحياة المصرية فغلبه مستغماً آسأ ، فانصرف عنه أما إلى الحياة المادية وما فيها من لمروعة ، وأما إلى مصدر ثقافته مستعيناً بالكتب والمجلات الأجنبية .

فلم يكن غريباً بعد ذلك أنه كلما بدأ وميض من النور فى حياتنا الفكرية لم يلق إلا أعيناً منمضة ، وإذا أبع زهر صغير صادف برداً فذبل والتوى .

أزمة الغذاء الفكرى شر اذن ، وإنما شر منها روح التشاؤم الذى فشا فى هذا الشباب المثقف ، وكلة الشر التى جرت على الألسنة فى سهولة عجيبة من أنه لا سبيل إلى تلبس هذا النوع من الغذاء فى الإنتاج المصرى والتى تنتهى إلى قتل العناصر السليمة التى قد تهض لتغذية حياتنا الفكرية .

وإذا أما ذكرت الإنتاج المصرى فأنى أرسل هذه الكلمة على معنى خاص . فانا أستبعد الترجمة لأنها ليست إلا وسيلة لتغذية من كانت ثقافتهم عربية محضة ، أو لتبينة الاتصال بين ثقافتين مختلفتين . وأنا أستبعد كذلك النقد لىكى أستبقى بعد ذلك صورة واحدة ، هى الخلق Création

وإذا أنا استبعدت النقد فليس ذلك لأننى أخرجته عن معنى الإنتاج ، أو لأننى أتملله ضعيف الشان فى تمويننا بالغذاء الفكرى ، وإنما أستبعده لأنه مرهون بالخلق ومن أجل ذلك كان النقد الذى أيعت أثماره فى مصر هو ذلك النقد للإنتاج الأوروبى وللإنتاج العربى القديم . أو ذلك للنوع من النظرات العامة التى تلبس



من أجله ، ولا يفكر إلا فيه . وإذا أظلمت إليك مرة فحدثك عنه  
أدهشك ذلك الحماس الذي ينبعث منه ، وتلك النشوة التي يفرق فيها  
إلى آذانه فتأخذ بلبك وبله .

من أجل ذلك كنت أنظر إليه بعين الأمل ، ولكن لم يكن أمل  
فيه محدداً بل كان أملاً غامضاً لمل مصدره ما في الشباب من صحة  
وثورة وتفاؤل ، وعلى أي حال لم أكن آمل في نجاحه إلا من  
ناحية الكتابة العسكرة ، وقد بحث هذا في نفس روايته ، المرأة  
الجديدة . إذ كتبها وهو يقصد عين الجدة فإذا به أصاب دعابة  
لذيذة ، وكنت ألهج في دعابته نوعاً من العمق لم أكن متيقناً منه ،  
ولأنما كنت أحس به وأنا بين المصدق والمكذب .

\*\*\*

إلى أن سافرنا منذ ثمان سنوات إلى باريس بعد انتهائنا من  
دراسة الليسانس ، وكان المقصود من سفرنا دراسة دكتوراه الحقوق  
وهربنا عند وصولنا ازدهار الفن والأدب في باريس ، وظهر  
لنا جلياً ناطقاً محدداً ذلك الجانب الروحي والفكري من الحياة  
الذي حرمانا من نعيمه في مصر ، كيف أينعت أزهاره في هذا البلد ،  
كيف كان داني القطوف ، عجيب الألوان ، شهي الرائحة . ويدرك  
من يتذوق هذا الجانب من الحياة كيف يحلو الرى بعد هذا الظلم  
والامتلاء بعد طول الطوى . فهل كان من المعقول أن يعيش توفيق  
الحكيم في باريس وهي مهيطة الفن والأدب ، وأن يمر بهذا الفن  
والأدب وفي دمه ذلك الحماس ، وفي روحه ذلك الخلوص  
والانصراف فلا ينهل من الفن والأدب إلا بقدر ما ينهل الناس  
لمجرد الغذاء الفكري ؟

ما مضت بضعة أشهر على إقامتنا في باريس حتى بدأت أنظر  
إليه بعين ملؤها الاحترام . . . الاحترام الغامض أيضاً .

ذلك أني رأيته وقد انصرف عن اللهو وعما يحصل كل شاب  
من باريس عادة ، عن باريس اللاهية ، عن باريس الضاحكة  
الماجنة ؛ انصرف عن كل هذا بنفس آمنة مطمئة . وإذا به وأحياناً  
باريس عشرون حياً يبدأ أولها في مركز المدينة وينتهي آخرها  
بأطرافها يسكن الحي العشرين ، وما أظن مصرياً قد هبطت  
قدمه إلى هذا الحي غير توفيق ، ومن كان يفكر في زيارته  
من أصدقائه .

\*\*\*

قرأ كتاب تين Taine عن فلسفة الفن فانبثق له من هذا  
الكتاب قيس من نور ، فعلق به وقد شعر أنه باستهوانه آياه  
لا بد واصل إلى استكمال تفقيفه ، وإلى إدراك مكنونات الفن  
أسراره ومنعطفاته . وانكب على دراسته انكباً . والكتاب

يتحدث عن فن التصوير والنحت أكثر مما يتحدث عن غيرها ، فهو  
ذاهب أذن لزيارة متحف اللوفر في زيارات دورية ، وقد أصبح  
له هذا المتحف بمثابة الجامعة للطالب . وهو مصطحب هذا الكتاب  
كصديق مرشد . وهو مثبت من مطابقة التذليل البديع الذي  
يجري به قلم تين عن كيفية نشوء فن ما ، في بيئة ما ، على تلك  
المجموعة التي لا تقدر من كنوز الصور في متحف اللوفر . وهو  
قد قرأ الكتاب واستوعبه استيعاباً ومضمناً ، ثم شاهد كيف  
استخلص تين حياة هذه القطع الفنية من جنس الفنان والوسط  
الذي أحاط به والوقت الذي ظهرت فيه .

ولكن أني له أن يفهم فن التصوير فهماً واعياً ، وثقافتنا المصرية  
في هذا الشأن معروفة أن كتاب تين ليس الا خلاصة محاضرات  
كان يلقيها على طلبة مدرسة الفنون الجميلة في باريس ، فهو يتقدم  
به إلى أناس على قدر متقدم من الثقافة الفنية ، وقد شعر توفيق  
بعد قراءته للكتاب بالنور يهره ، فادرك أن هناك جمالاً لم يكن  
يحس بوجوده قبل ذلك وعالمًا آخر تراءى له . ولكن في إطار من  
السحب والغيوم . وأحس في الوقت نفسه أنه لم يدرك كله هذا  
الجمال بعد ولم يدخل هذا العالم الجديد .

وكان أن عرضت له فرصة يتعجل بها مد هذا النقص الذي  
كان يقض مضجعه ، فلم يتردد في التعلق بأهدائها ، فهو قد تعرف  
في ذات يوم إلى شاعر فرنسي أختي عليه الفن والأدب ، ولعله  
البقية الباقية من جماعة البارناسيين Parnassiens من مذاهب  
الشعر ، فرأى فيه توفيق رجلاً مثقفاً ثقافة واسعة ، ذا مكانة في  
الأدب والشعر ، وأن جاز الزمان عليه وعلى مذهبه . فجعل يمد هذا  
الشاعر البائس باعانة مالية نظير استعائته به في فهم أسرار اللوفر  
ومتحف رودان والمكتبة الأهلية .

ثم انكب على القراءة انكباً ، ولكن الانتاج الأوربي  
هائل فيه العثوفه السمين ، وإلى جانب الانتاج الحديث يوجد  
الكلاسيك وهو لا يقل هولاً ، والوقت من ذهب ، لا بد أذن من  
أن يختار ما يقرأه من بين هذا كله ، وهو شاعر بالمراحل الواسعة  
التي لا بد له من قطعها ليستفيض عماضيته من أيام شبابه في قراءات  
كان يتخبط فيها دون هدى أو مرشد ، وهو يستعين أذن  
بصاحبه الفرنسي في هذا الاختيار ، وهو يستمع إليه في دروس  
خاصة منظمة ، جعل صاحبه يمارها له كما يمار الدواء للمريض ،  
وإذا به الآن قوى البنية بعد هذا المزال الطويل ، عبل الذراعين  
بعد هذا الضعف والنهالك .

وهو لا يكتفي بعد ذلك بالتهام الكتب واستيعابها ، وإنما هو



يجعل من قراءته أداة للتأمل والتفكير . فهو يركن الى الوحدة في غالب أيامه يهضم فيها ما قرأ ، وهو يجلس في قهوة نائية وقد فتح امامه كتاباً ذراً للرماد في الميول ، ثم يظل يسبح في بحر خياله وهو مغتبط بهذه الوحدة كبير بها ، وكأنه قد أدرك قول ابن سينا : ان الرجل الوحيد المنفرد هو الرجل القوي . .

و كنت دائماً أتناق ثمرة ذلك التأمل الطويل ، فهو يغيب عني اسبوعين او ثلاثة ثم يزورني فاجلس اليه ساعات متوالية ، لا ينقطع فيها حديثه ، وهو دون شك قد اختار موضوع هذا الحديث قبل حضوره . ودون شك كان هذا الموضوع شاغله الوحيد في هذه الاسابيع الماضية ، وإذا في أمام محاضرة طويلة عريضة . . متشعبة ، ولكنها مبوبة تويها كاملاً ، مرتبة ترتيباً بديعاً . وإذا لها خاتمة تلم بأغراضه ، وإذا في غارق في نشوة صافية ، وإذا أما مفكر في هذا الموضوع رذاك الحديث ، لا في أثناء انصاتي اليه فقط بل بعد انصرافه عني أيضاً .

أنصرف في حين ما إلى قراءة ما كتب عن قدماء المصريين وعن روحهم العبق ، وإذا هو شاعر بمصريته العريقة كيف هي تمشي في دمه ، وإذا هو محدثك عن هذا الروح في نحر وإدراك لا في مجرد زهو ونعرة ، وإذا أنت بهرك هذا الانقضاء . ويملكك نوع من الخماس ، وتكشف لديك آفاق جديدة ، وتتعلم في ذمك أنغاز كنت تحار في تعليلها أو كنت تعللها تعليلاً غامضاً ، وإذا الأمل الذي كان يدب في نفسك ديباً مبهماً في مستقبل مصر ، وفي روح مصر قد تحدد لديك تحديداً كاملاً ، لأنك تشاهد النور بعد أن حجب عنك سنا ، وتلمس الحقيقة بعد أن كانت وراء حجاب ، وتشعر بما في روح مصر من عبقرية خاصة ، بعد أن أدركت أسبابها فلم يصعب بعد ذلك أن تأمل فيما تؤدي اليه من ثمرات .

وهو لم ينس المسرح — فنه العزيز عليه — في وسط هذا كله ، فهو يشاهد التمثيل من الكوميدي إلى الأوديون إلى مسارح البولفار إلى مسارح الطلبة Avant Garde ، لا يدركه ملل ولا سأم ، وهو لا يذهب لجرد اللذة الفكرية ، بل أيضاً للدرس والوعي . وهل يمكن أن يكون الأمر غير ذلك وتلك النار المقدسة تنفخ في صدره وتوطد من عزمه لا تدر كها هوادة ولا نخود !

ويدهشك بعد هذا أنه في يوم ما منصرف عن هذا كله ، عن قراءاته وعن مسارحه ، عن اللوفر ورودان وبقية المتاحف ، وإذا به يشغل شيء واحد : الموسيقى ، ماذا ؟ توفيق الحكيم الذي كان يكاد يشترك في تلحين رواياته الموسيقية في مصر ، توفيق

الحكيم الذي كان مولها بالموسيقى الشرقية ، غارقاً وراء أسرارها يستمع الآن الى الموسيقى الغربية ؟

لقد أدرك معنى ، أنها إحدى الفنون السبعة ، فهو الآن منكب على دراستها انكباباً ، ولا بأس أن يستعين بأصدقائه الفرنسيين على فهمها ، وهو منصرف الى الأوبرا والأوبرا كوميك والى صالات الموسيقى السمفونية ، ولا بأس من أن يذهب الى الأوبرا ولو لم يقتدر الا على أعلى الباترو ، ولا بأس من أن يتسلل بلباسه الغريب المتواضع على دوج أوبرا باريس الفخمة ، ومن بين أزياء المساء الفاخرة ولألا الجواهر النخبة !

وإذا به يتدرج كالتالب في المدرسة ، فهو معجب أولاً بسان ساينس وبزيه وموسيقاهما ذات النغم الشرقى ، ثم هو متفعل بعد ذلك الى الإعجاب بينوفى وموسيقاه الرومانتيكية ، وهو بعد ذلك مشيد بذكر فاجنر وموسيقاه القوية ، وهو أخيراً يستمع الى موسيقى استرافسكي وغيره من المحدثين .

سأله أخيراً المكاتب العتي لأحدى الجرائد المصرية عما أوحى اليه بأهل الكهف ، فكاد ينطلق لسانه باسم بينوفى ، وقد قص على هذه الحادثة فلم أملك نفسي من الابتسام .

— ولماذا لم ينطلق لسانك ؟

فكان رده الذي كنت أتوقه والذي من أجله انتسيت .

— يضحكون مني !

وهو في وسط هذا التكوين الهائل الذي كان يحسون نفسه به أخذ — ومن ساعة متقدمة — يحاول الانتاج ، فجعل يزاول الكتابة بالفرنسية ، فكتب قطعاً من الحوار وجعل يعرضها على بعض أصدقائه الفرنسيين ، ولم يثن عزيمته عن الكتابة المأمة الابتدائي بالفرنسية ، فهو مثابر يجد على رغم ذلك ، وهو في النهاية قد عثر على صيغته ، وإذا بأصدقائه الفرنسيين يشهدون له بأنه في توجيه الحوار واسع الحيلة ، وإذا بعضهم يذكر عند قراءته لتوفيق بورثوريس الكاتب الفرنسي الشهير وحواره المقضب المتناسك .

• • •

و كنت أراقب هذا التمام عن قرب مغتبطاً به ، سعيداً بمشاهدتي هذه الثمرة كيف غرست ، ثم كيف نمت ، ثم كيف ترعرعت وأينعت ، ولم ينشأ شعوري بهذه السمادة عند ما نشر كتاب أهل الكهف ، وعند ما استقبله النقد هذا الاستقبال العظيم ، وإنما هو قد نشأ من زمن بعيد عند ما قرأت أهل الكهف ، مخطوطة منذ ثلاث سنوات قبل أن تتخاطفها أيدي المدرسة الحديثة ، بل عند ما قرأت شهر زاد ، مخطوطة منذ أربع سنوات ، لما أرسلها إلى توفيق في

باريس بعد عودته الى مصر ولما حملتها واكضا الى الدكتور  
ماردروس (وهو اديب فرنسي ترجم الف ليلة ليلة الى اللغة الفرنسية ،  
وزوج مدام لوس دلاو ماردروس الكاتبة الفرنسية المعروفة)  
ليقرأها ويرى من أى زاوية نظر مؤلف مصرى الى قصص  
الف ليلة ليلة .

بل شعرت بذلك منذ خمس سنوات عند ما كنت أقرأ أولاً  
بأول الصفحات الأولى من رواية "عودة الروح" عند ما كان  
مؤلفها يحاول ترجمتها الى اللغة الفرنسية .

عند ذلك كله تحدد أملى فيه بعد أن كان غامضاً ، وتبدد ذلك  
النشأوم الذي كنت أظن به الى جونا الفكري ، وأدركت ان لدينا  
مؤلفاً نفاخر به المؤلفين الأوربيين نقرأه في لذة وإعجاب ، إعجاب  
بهذا المطار الخاص الذي ينظر به الى الأشخاص والأشياء  
والحوادث فيكتشف فيها نواحي قدة .

نعم . فقد تمر أمامنا الحادثة لانفكر في أن نعلق عليها أهمية  
خاصة .. ولكنها تستوقفه فيناقشك فيها . ويبدأ بصورك فيها  
تصوراً غريباً . فإذا هي امتدت ، وإذا هي ذات جسم وكيان ،  
وإذا بها نواح من الأهمية بمكان ، وإذا أنت دهش بعد ذلك  
كيف مرت عليك ولم تلحظ فيها كل ذلك .

كنت أتحدث مرة الى أحد أصدقائنا عن روايات توفيق  
الحكيم ، ونسلس الحديث الى أن ذكرت لمحدثي أن توفيقاً قد  
كتب رواية اسمها "الخروج من الجنة" ، فكان رده على :

.. وطبعاً شخصيات الرواية ثلاث : آدم وحواء والبليس  
فلم أتمالك من الابتسام ، ذلك أن عنوان الرواية ليس الا  
رمزاً وأن أشخاص الرواية عصريون فليسوا آدم وحواء ، وإنما  
هم محمود وإقبال وغيرهما من أبناء آدم وحواء .

وفد ابتسمت لقول صاحبي لأنه لفظه في اطمئنان عجيب ،  
وسر اطمئنانه أنه قد قرأ "أهل الكهف" ، ورأى كيف استغل  
مؤلفها تلك القطعة الفلسفية من القصة التي لا يجهلها مصري وقرأ  
"شهرزاد" ، فرأى ثمرة التأمل الذي أوحى به قراءة الف ليلة  
وليلة الى صديقنا توفيق ، فإذا هو كتب رواية بعنوان "الخروج  
من الجنة" فهو لاشك قد عالج خروج آدم وحواء لأن هذه  
الحادثة قد استوقفته ، ولا بد انه قد نظر اليها من زاوية الخاصة قصتها  
رواية مسرحية .

خرج صاحبنا من مجرد عنوان الرواية ومن أن مؤلفها  
توفيق الحكيم بهذه النتيجة التي يراها طبيعية ، وهو حريص على  
أن يكون استنباطه لتلك النتيجة من تلقاء نفسه ، فهو لا يسأل عن

أشخاص الرواية وإنما هو يبادر بذكرهم من تلقاء نفسه ، شأن  
من فهم روح مؤلف أهل الكهف !

\*\*\*

هذه الموهبة الفذة وهذه الثقافة الشاملة وهذا الجهد الجبار  
يتميز توفيق الحكيم ، فهو قد أدرك أن الأدب ليس مجرد  
سليقة نطلقها فتطلق ، أو الهاما يوحى اليها به فنرسله على  
طبيعته ، وإنما هو الى جانب ذلك وقبل ذلك علم ودراسة ، لا بدفهما  
من المتابعة على القراءة ، والالتكباب على المذاكرة ، والالمام بجميع  
نواحي الفنون ، والتأمل في كل ما نقرأ ونشاهد .

وكتاب أهل الكهف الذي لاقى مالاقاء من نجاح لدى  
النقد في مصر ، والذي لأشك في أنه سوف يستقبل استقبالا عظيماً  
لدى القاد الأوربيين اذا ما ترجم اليهم ، هذا الكتاب اذن لم  
يكن ثمرة مصادقة ، لم يكن زهرة صغيرة أينعت في المستنقع المصري  
وإنما هو دوحه هائلة غرسها غارس ثم تعهدا بالصيانة والتهديب

\*\*\*

وبعد ، فاني أدرك أن مقالى هذا قد يرسم على الشقاء ابتسامة  
ذات مغزى لأنه هو صديق يقوم بالدعاية لصديقه .

ولأمر ما ، يمني أن أرفع هذا الخطأ المحتمل ، فان مؤلف  
"أهل الكهف" ، وكتابه ليسا في حاجة الى دعاية بعد أن أجمع  
النقاد على تقدير الكتاب .

وإنما حاولت ان أرسم صورة لتاريخ حياة الكتاب بأن  
قدمت صورة من تاريخ حياة مؤلفه ، أظهر بها جانباً هائلاً من  
الصداقة التي تجمعني ومؤلف هذا الكتاب أن ألم به ، فأثرت أن  
يطلع قراء الكتاب على هذا الجانب .

وربما كان لي غرض آخر من هذا المقال : هو ان يدرك  
شباننا المتأدبون أن فن الأدب لا يكتفى فيه بالموهبة ، أو بالاعتقاد  
في تلك الموهبة ، ثم ارسال القلم في كتابات لا تقدمنا خطوة واحدة ،  
وإنما هو الى ذلك اطلاع وتأمل ، لاقى الشعر والنثر بأنواعه  
فقط ، بل كذلك في النحت والتصوير والموسيقى ، ولان في الإنتاج  
العربي وحده ، بل كذلك في الإنتاج الأوربي ، ولست أحاول ان  
أرسم بهذا خطه ، فالخطه مرسومة مقدماً ، بل هي بدئية من  
البدئيات ، وإنما قصدت لفت النظر .

فإذا أتى اليوم الذي نرى فيه شبانا المشتغلين بالأدب قد  
أدركوا هذه الحقيقة كنا سعداء : توفيق الحكيم ، وكتاب هذه  
السطور وكل من يجرى في دمه الاخلاص لهذا البلد المكود بكل  
ما تحتويه كلة الاخلاص من معنى ؟



# عمالقة الاشجار

للدكتور محمد بهجت

مخرج جامعة كاليفورنيا

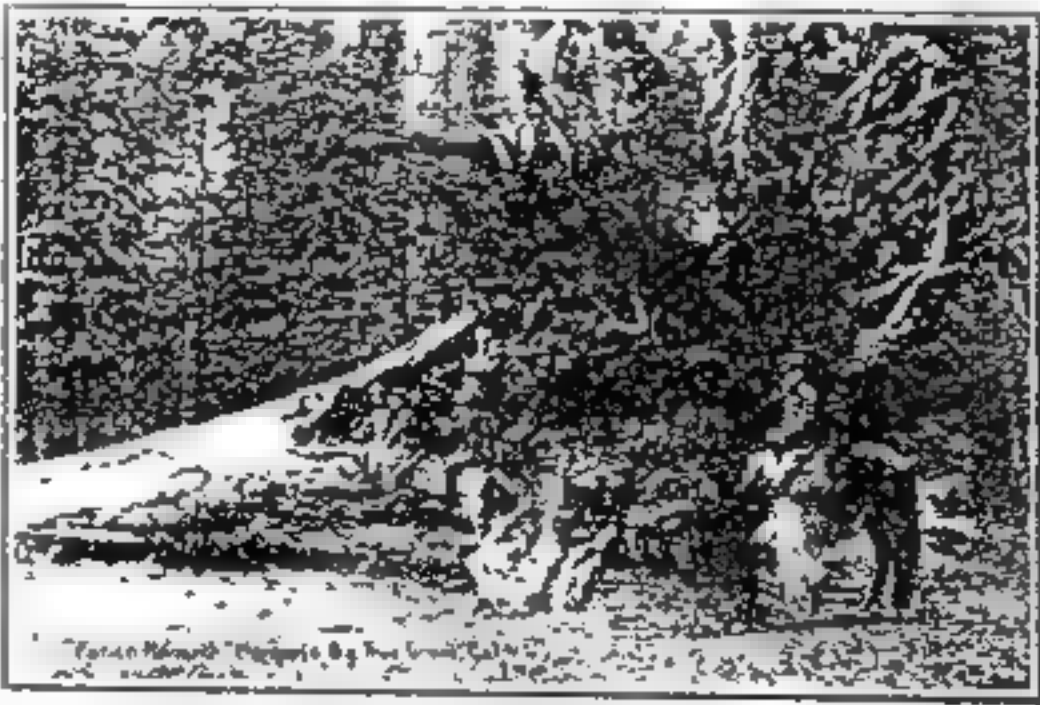
— ٢ —

## حرج ماريبوزا

يقع في قمة جبال السيرا على ارتفاع ستة آلاف قدم . سمي كذلك لوجوده بمقاطعة بهذا الاسم . وماريبوزا ، كلمة اسبانية معناها ، ابودقيق . وكان اول من لمح رموس اشجاره عن بعد رجلا يسمى ، اوج ، Hogg في سنة ١٨٥٥ ولكن رجلا آخر يسمى ، جالن كلارك ، Galen Clark اكتشفه عام ١٨٥٧ واليه يرجع الفضل في ذلك . يصل اليه الزائر من طريق ضيقة لا تتسع لأكثر من عربة ، شديدة الانحدار والتعاريج ، تمر وسط غابات كثيفة مكتظة بأنواع الصنوبر التي تعطر الجو دوماً . وغالباً ما تكون حافة الطريق هي حافة هوة بعيدة القرار يغطي منحدرها آلاف الاشجار . وكثيراً ما يصادف الانسان قطعياً من الغزلان يعترض الطريق ، ترنو اليه بأعين سوداء كبيرة هادئة ثم لا تلبث ان ترتاع وتقفز في رشاقة نادرة وتحنق في طلبات الغاب . ومن وقت الى آخر تخترق الاذن نغمة حلوة لطير جبل الريش يتفياً ظلال الأغصان . او يقفز امامك سنجاب صغير يقف على خلفيه ويرفع ذيله الطويل المفروش على ظهره حتى يكاد يلامس مؤخر رأسه ، ينظر اليك لحظة ثم يتقلب راجعاً في سرعة البرق . واحياناً يصادفك دب اسود القرو لأمعه ينظر اليك متكاسلاً ثم يدير رأسه الى الناحية الأخرى متباعداً عنك غير عانى بك .

وأخيراً تنتهي الطريق الى الحرج الذي لا تتجاوز مساحته ميلين مربعين . وهناك يشمر الزائر انه داخل في عيب فسيح معطر الأرجاء ذي عمد هائلة ، لا تستطیع الشمس ان ترسل الكثير من أشعتها الى ارضه لكثافة رموس الاشجار ، فالظل لذلك وارف ظليل ، والهواء بارد عليل ، واما الصمت فرهيب شامل وما هي إلا برهة حتى تملك الانسان خشية ورهة فيصمت هو الآخر ويتأمل اشجاراً بأسسقة تحلق رموس بعضها في الجوال ارتفاع مائة وعشرة من الامتار . ويبلغ قطر البعض الآخر عشرة أمتار ١١ يرفع الانسان رأسه ليدرك سمو هذه المخلوقات البيلة ولكنه لا يلبث ان يبطأ طئه في خشوع وذهول ، يمسك بالحيرة

ويضح بالاسئلة . ترى كم من السنين قامت هذه العمدة النباتية في مكانها لا تهرسه ، تحمل الثلوج شتاء على اذرعها الصخرة المنبسطة وتحمل الزمهرير ولطيات البروق ورجلجلة الرعود ، وهطول الامطار وتدفق السيول ؟ يقول بعضهم ثمانية آلاف سنة ، ويقول بعضهم اربعة آلاف ١١ ومهما يكن التقدير فانها ولا شك أسن المخلوقات الحية واعظمها . كيف لا والشجرة ، الصميرة ، التي تجاوزت الخمسمائة ربيع لا تزال في ميعه الصبا ، واما التي سلخت من الرمن التي سنة فلا تزال في سن الكهولة ١١ إذا نظر الانسان الى شيخ قارب المائه او جاوزها شعر بوقار السن وجلاله ، وخشع لذلك المسحة الهادئة الحزينة ، التي تطبعها عليه بداهرم . فبالك اذا نظر الى مخلوق عمر ستة قرون ؟ ومع هذا فلا ترى ضمهفا ولا تقوسا ولا تهديدا ، بل ترى سمو حافظة وعظمة . ترى اصلها كأنه أبراهول ماشيا اظماره الضخمة في جانب فريسة هائلة ، ترى التمسك والرسوخ . نعم ان عليها روح الكآبة والحزن ولكنها كالجار



الصالح المدد او الملك الساقط

المكثب يرفع رأسه الى السماء في جمال وروعة ، غير عانى . بما في جنبه من طغيات او في نفسه من وخزات . وحقيقة ترى بعضها محترق الجانب او القلب غير انها لا زالت حية بأسسقة تهباً بكوارث الطبيعة وهوجها ، تطالع فيها رمز الصبر والاحتمال والخلود ، ثم انها كتاب تاريخي ضخمة استوعب الكثير من تاريخ القرون ولكن كيف السيل الى حل رموزه وطلاسمه ؟ هيات ! تقف صامتة ، تنظر مبتسمة ساخرة ، ولكنها لا تبوح بمكنون قوادها فكانها حفيظة لسر الدهر

ولكل من هذه العمالقة اسم يعرف به ، فهذه شجرة مارك توين تخذ اسم الكاتب المشهور وهي أطول اشجار العالم إذ يبلغ ارتفاعها ٣٣١ قدماً ، وهذه شجرة جالن كلارك مكتشف الحرج وهذه شجرة واشنجطن ، وهذه شجرة غروب الشمس وهي آخره الاشجار التي تغيب عنها اشعة الشمس . وتلك شجرة الاصطبل

التي توى خمسة عشر حصانا جذعها الأجوف ، وتلك شجرة المنظار التي احترق من جوفها ما طوله خمسون قدماً فأصبحت كالمنظار ترى من داخلها السماء . سم تلك شجرة واوونا Wawona . تلك الشجرة العجيبة التي شق في أحشائها طريق في سنة ١٨٨٠ ارتفاعه ثمانى أقدام وعرضه إحدى عشرة ترممه عربات الزوار الذين يحجون إليها من أنحاء المعمورة . ومع هذا لا تزال حية تضحك من اقزام الانسان الذي اعمل فيها قواطعه ومناشير وأجرى عليها هذه العملية الجراحية القاسية من غير ما مسكن او مخدر !! هي ارفع من ان تشكو هذا العبث الصغير !! . وترى وسط الحرج العملاق الرمادى ، Grizzly Giant وهو من أضخم ما على وجه البسيطة من اشجار ومن أطولها عمراً . يبلغ ارتفاعها ٢٠٤ ويحيطها ١٠٤ أقدام ، رأسها غير كامل لأنه احترق ، ويظهر ان صاعقة انقضت عليه فاطارته . يبلغ سمك قشرها الذى يكسو خشبها نحو ٧٥ سنتيمتراً ، والمادة ان يكون لونه لون



شجرة واوونا بين بها الطريق التي شقت في أصلها

القرقة ، أما في هذه الشجرة المعمرة فاللون رمادى يشهد بمعاركة الرياح والأمطار والشمس وعناصر الطبيعة الأخرى القاسية قروناً طويلة ، واقفة كأنها تصارع الزمن بسيف منكسر فهي كالبطل المنهوك المتخن بالجراح تغيب بين اضلاعه النصال والسهام . فمن ذا الذى يرى هذا المخلوق النحيل ولا يحنى رأسه في خشوع وادظام واكبار ؟ من ذا الذى لا يقف بأصلها صارعا بعد ان يشعر بمظنة الخالق والمخلوق ؟ وسأحاول تصوير ضخامتها بمايل من الامثلة : —  
١ — إذا وقف عشرون رجلاً في حلقة مقفلة حول أصلها بحيث تتلامس أطراف أصابعهم مع امتداد أذرعتهم فانهم يستطيعون تطويقها تماماً  
٢ — إذا شق في أصلها طريق يمكن ان تمر منها مركبتان من مركبات الترام جنباً الى جنب

٣ — إذا امكن ان تنقور قاعدتها بحيث تشبه الغرفة استطاع اربعة عشر شخصاً ان يجلسوا على مقاعد حول مائدة مستديرة في وسطها من غير ما تراحم

٤ — إذا قطع ونشر خشبها انتجت ما يربو على نصف مليون قدم من الخشب

وبجانب آخر من الغاب يرى عملاق هائل صريعاً عدداً يسمونه الملك الساقط ، Fallen monarch تقصر دون عظمته وضخامته عند قدماء المصريين الصوانية المتساقطة في المعابد . مؤثرة والله رؤية ذلك الطود الأشم بل ذلك الملك مزروع التاج منطرحاً على الارض جسماً بلا روح . ذلك الطود الذى عاصر الاهرام حياً وما هو ذا لا يزال يسابقها في حلبة العمر إذ يأبى خشب الاستسلام للعفن وللأضمحلل والفتاء مع ان جنبه يلامس الارض منذ مائتى عام !! وقد صورت اكثر من مرة وعليها عربة بثة أحصنة وعدة سيارات وجم غفير من الرجال .

ولعل أهم ما يتسأل عنه الزائر المتحير هو كيفية تكاثر هذه الاشجار وحفظها . وربما تأخذ الدهشة إذا علم انها تتكاثر من بذرة في حجم الخردلة !! وتوجد هذه البذرة مع غيرها في غروط صغير لا يزيد حجمه على حجم البيضة الكبيرة . وقد يحتوى الغروط على ثلاثمائة بذرة . وتنتج الشجرة عدداً هائلاً من هذه الخاريط ولكن ما يتب من بذورها قليل جداً

وقيل الغروب عندما يتأهب الزائر لمغادرة ذلك المكان الساحر يرى ضرباً آخر من الجمال إذ تنفذ اشعة الشمس في حزم عريضة تشق ظلام الغاب الى سرق تلك الاشجار فتضيء جوانبها المفضنة بغيض من النور البديع يشف عن لون حجر يزرى بأجل ألوان رخام ايطاليا المصقول . أما الجوانب المقابلة فتكون معتمة مصبوغة بلون بنفسجى شفاف . بعد ذلك ترى نفسك مضطراً الى مغادرة المكان إذ بهجم الظلام اسرياً . فاذما خرجت من الحرج الى الطريق استطعت ان ترفع صوتك بالحديث بعد ان كنت تهمس ، ثم تؤخذ بحمال الجبال عند الغروب . عجبا !! كيف يمكن أن تصطف روس تلك الجبال ومنحدراتها واشجارها بهذا اللون البنفسجى البديع الذى لم يستطع العلم تقليده الى الآن . . . . وإن استطاع فاي جن يمكنهم أن يصبنوا به مثل تلك السلوح الهائلة في ذلك الوقت القصير !! ثم بعد ذلك ايضا تطيح صور تلك الاشجار العجيبة في ذاكرتك الى مدى العمر ، وتقف فيها بارزة قوية بحيث تراها وتمسها ونحن اليها وانت في أى ركن من أركان العالم ؟



## العيسقرية

علم وأدب وفق

للاستاذ الحوماني

أديب جليل عامل

قبل الكلام على واحد من هذه الثلاثة ، يجب أن نتكلم على النفس التي هي مصدر العلم والفن ، اللذين هما مصدر الحياة ، التي هي مصدر العالم

والنفس هاهي جماع ما في الجسم من جوهر ، وأما النفس التي هي نواة الحياة في الحي مجردة عن الخصائص التي تعرضها ، فهي السر الكامن في الجسم الحي الحساس ينبعث عنه الفعل أو يتفعل هو بما يعرضه في الحياة

فهى (١) على هذا التحديد الاعتبارى مجمع الخصائص في الانسان كالارادة والفكر والعقل ونحوها من أمهات العمل الخارجى والداخلى ولما كان المرء عبارة عن شخصيته التي يمتاز بها ، وهي تاج هذه الخصائص ، وكان هذا الجسم قشرة لذلك الجوهر ، أطلقت النفس على المرء بمجموعه قلباً وقالبا

فالنفس التي هي مصدر العمل طرداً وعكساً ، هي أم الارادة التي هي مصدر العمل طرداً لا عكساً ، اى ان النفس تفعل وتتفعل واما الارادة فتفعل ولا تتفعل ، لذا صيغ ان كبت الارادة إنما هو انفعال النفس ، لا انفعال الارادة كما سيمر بك .

أما مصدر هذه النفس واراقتها التي يتطور بها الانسان به الحيوان روحاً وبدناً فتمامها تلك القوة المائلة هذا الكون ، او لعلمها هي نفس الكون ، او لعل الكون إحدى جزئيات معناها الكلى . ولم اكن لأؤمن كل الايمان انها أى النفس الناطقة ، نتيجة تفاعل هذه الخلايا ، أو انها إحدى خواص هذا التركيب الجسدى ، أو انها هي هو ، أو انه ظرف يشتمل عليها ، وإن كان بعضها اقرب الى العقل من البعض الآخر

لا أؤمن بشئ من ذلك ، ولا بعدمه ، على رغم انى اعتقد بانقسام خصائص النفس اجزاء الجسم كالدماغ والقلب والأعصاب لا أؤمن كل الايمان ، ولا أجحد كل الجحود ضرورة انه لم يثبت لدى أن الكائن مطلقاً إنما هو نتيجة تفاعل المكين

(١) أي الاول .

كما لم يثبت لدى عدمه مطلقاً

فقد نكون الروح من الجسد مكان اللون والنور من الاجرام المرئية ، كما قد نكون منه مكان الطعم من الثمر والمطر من الزهر ، وقد نكون منه مكان الصدى والسير من السيارة ، كما قد تنزل منه منزلة السائق منها فتكون غيره

ولعل لم آل جهدا في التفكير بما يقفنى على هذه القوة ( مصدر النفس ) واكتناه حقيقتها العامة ، او لعل لم احجم عن درس أي كتاب اتصل بي صادرا عن أى مفكر في العالم للبحث عن هذه القوة ، فلم يزدنى كل ذلك علماً بما وراء ما احس الا انه امر فائق حسه ففائق اكتناه سره ، ولم اكن لأقول فيه الا من وراء الحدس والظن

ولعل ما نقوله في تلك النفس التي توحى اليها الفكر ، وتحرك الستنا بالنطق ، انما هو من قبيل الخوص في هذا التيار الخافل بأسرار هذه القوة الغامضة فلم نقل فيه الا تخمصاً وحدساً

ثم ما هي حقيقة هذه الارادة ؟

وما هو هذا الفكر ؟

هل هي وليدة انفعال تلك القوة العليا ؟

وهل هذا الفكر الذي نجول به في عالم النفس هو وليد ما يصدر عن هذه الارادة من عمل ؟ أم هما معاً قبل تلك القوة الاولى ام نتيجة انفعالها ؟

وهل من الممكن لو لم يصدر عن الارادة عمل في الحياة أن يتكون هنالك فكر يتدبر هذا العمل فنقول قد كانت ارادة ولم يكن فكر ، وسيدنى التفكير وتهرم الارادة ثم تموت ؟ اى ان الارادة هي التي اوجدت الفكر ، والفكر سيتغلب عليها بما يعرضه من نوااميس الاجتماع التي يسنها ، فيخلق الارادة حينئذ من جديد ويصبح الانسان ملكاً

ومهما يكن من شئ ، فلا بد لنا قبل التعمق في البحث عن الفكر من تحرير الارادة ، وهذا التحرير يستلزم كلمة تناول ما وراء هذا العمل الخارجى من عامل داخل

الانفعال :

الانفعال هو من عوارض النفس (١) بما يفاجئها من حوادث خارجية ، أو تصورات داخلية ، فالغضب الذي هو نتيجة انفعال النفس بما يثير حفيظتها ويمتن قدرها ، والسرور الذي هو نتيجة انفعالها بماتلقاه من نيا سار ، هما من المواقف التي هي

(١) النفس هنا هي الثانية لا الاولى التي هي مجمع الخصائص كما علمت

نواة الشاعرية في النفس ، والتي تنبعث عن هذا الانفعال .

وقد يكون الانفعال غير مفاجئ . فينجم عن أمر الإرادة للنفس بما يكتبها كاليأس الذي يقرب إلى النفس تدريجاً بما تحدها الإرادة إلى فعله من وراء الأمل فتخفق في تحصيله جملة ، ويبقى لها رجاء بالحصول عليه ، ثم يضمحل هذا الأمل تدريجاً فيضطرب اليأس ويكون من وراء ذلك حزن عميق ينشأ عن انفعالها بالاختناق

وقد ينشأ هذا الانفعال العميق بما تلبسه النفس الشاعرة أمام مشهد اجتماعي له جلاله كالأثر الفخم والجند الزاحف ، أو منظر طبيعي له جماله ، كالحدايق النعنة والختائل الملتفة والمروج الخضراء ، كل ذلك يفعل في النفس ما يبعث فيها السرور أو الحزن فتفعل به . فالانفعال من عوارض النفس لا الإرادة ، ضرورة أنها تنفعل بما لا تريد

#### المرادفة:

أما تتأثر نفسك الشاعرة بأحد المشاهد الاجتماعية ، أو المناظر الطبيعية ، فتنبض أو تنبسط ، والفكر من وراءها يشرف على ثورتها ويحول دون طغيانها فينشأ بين جمالها وجلاله أثر في الخارج ، هو نتيجة فعله وانفعالها ، أكذلك كانت هذه النفس وليدة القوة الأولى مصدر القوى الكونية ، وكانت الإرادة من لوازمها الذاتية ، ضرورة بقاء الحى حياً ، فهي لا تنفك عن النفس منذ الأزل (١) ؟

ثم لا بد لنا من تمهيد بسيط ، هو أن في الأثر جزءاً من مؤثره ، سواء أ كان الأثر معنوياً أم مادياً كالحكمة والفن في الاجرام التي تنبت عنها . فالحكمة في الأثر أعني الناية التي كان لها ، انما هي جزء من عقل المؤثر المجرد (٢) يشير إلى عظمتة في نوعه من هذه الناحية ، والفن فيه هو جزء من عقله المتخيل المبدع ، يشير إلى عظمتة المؤثر من حيث خياله وتصويره في رقيه الفكري

وبمجموع الحكمة والفن في الأثر هو الجمال ، فجمال الجرم

(١) قد يفتقد في طريق هذا التلازم تقرير أفراد النفس دون الإرادة والمثل

فيما بعد ، فنل

(٢) هذا الحكم أعني جمال الفن والحكمة صادرين عن العقل باعتبارين مبنى على ما شقته من أن الجرم المكون في الجسم إنما هو واحد بهد الإرادة والنفس

المبتدع هو ما يروعك فيه من شكل ولون وهو الفن ، ومن سمو غاية وهو الحكمة ، وكذا الأثر المعنوي ، ففي البيت الواحش من الشعر أو الفقرة الواحدة من الترجمه من روح الشاعر أو الناثر تلبسه روح الناقد البصير من ورائها

وهكذا الصورة والقلم ونحوهما من نتائج الفكر المادي ، ففيها جزء من روح الصانع يتراعى للحكيم من وراء صنعه . فجلال هذا الروح وجماله بجلال هذا الأثر وجماله

ففي قول القائل :

لا يفرنك في الشام رجالاً موهوا بالرياء وجه الفرنسي  
ربما أثرت العيون من الكحل وخلف الجفون منبت ورس  
تجلى روح لم تكن ، وانت الشاعر ، تلبسها في قول الآخر :

لا يفرنك منهم نفر اظهروا نحكوك حبا ووداد  
لو تبدى لك ما قد اضمروا رأيت النار في وسط الرماد

وهكذا فانك لا تستطيع ان تقابل ما في الكرسي بما في الساعة  
من حكمة الصانع ، فقدر ما في الصانع من عظمة يبدو لك ملق في  
صنعه من جمال أو جلال

وكون هذا الأثر مرآة مصدره كما نشاهد من وقفنا على روح  
الشاعر بدراسة شعره ، وفكرة الفنان بتحليل فنه هو أمر متحقق  
في الخارج لا شبهة فيه

ديتج ، البطية ( جبل عامل ) ( الحرمان )

## شركة مصر لنزل ونسج القطن

تعلن شركة مصر لنزل ونسج القطن أنها آتت  
تجهيز مبيضة ومصبغة بمصانمها بالحلة الكبرى لتبييض  
وصباغة كافة انواع الخيوط والاقمشة القطنية والكتانية  
وتجهيزها تجهيزاً نهائياً

وهي على استعداد تام لتبييض وصباغة كل ما  
يطلب منها بأسعار غاية في الاعتدال ، ويسرها أن تجيب  
عن كل استعلام يطلب منها



## بلاط الشهباء

بعد ألف ومائتي عام

لنور محمد عبد الله عنه

— ٢ —

وكان أنسا غاراته أو رحلاته في (اكوتين) قد اتصل بأمرها الدوق وأودع، وتغامم معه، وكان الدوق، مذراى خطر الفتح الاسلامي يهدد ملكه يسعى إلى مهادنة المسلمين، وقد فاضهم فعلا، فاتهم كارل مارتل محافظ القصر وزعيم الفرنج هذه الفرصة لاعلان الحرب على الدوق، وكان يحشى نفوذه واستقلاله، وغزا اكوتين مرتين وهزم الدوق فكان أودو في الواقع بين نارين يحشى الفرنج من الشمال والعرب من الجنوب، وكانت جيوش كارل مارتل تهدده وتعيث في أرضه (سنة ٧٣١ م) في نفس الوقت الذي سعى فيه عثمان بن أبي نسة لمخالفة والاستعانة به على تنفيذ مشروعه في الخروج على حكومة الاندلس والاستقلال بحكم الولايات الشمالية، فرحب الدوق بهذا التحالف وقدم ابنته الحسناء (لامبجيا) عروسا لعثمان، وفي بعض الروايات أن ابن أبي نسة أسر ابنة الدوق في بعض غاراته على اكوتين ثم هام بها حبا وتزوج منها. وعلى أي حال فقد وثقت المصاهرة عرى التحالف بين الدوق والزعيم المسلم، ورأى ابن أبي نسة كتماناً لمشروعه أن يسبق على هذا الاتفاق صفة هدنة عقدت بينه وبين الفرنج، ولكن عبد الرحمن ارتاب في أمر التأثير ونياته، وأبى قرار الهدنة التي عقدتها، وأرسل إلى الشمال جيشاً بقيادة ابن زيان للتحقق والتحوط لسلامة الولايات الشمالية، ففر ابن أبي نسة من مقامه بمدينة الباب<sup>(١)</sup> الواقعة على (البرية) إلى شعب الجبال الداخلية فطارده ابن زيان من صخرة إلى صخرة حتى أخذ وقتل مدافعا عن نفسه، وأسرت زوجته لامبجيا وأرسلت إلى بلاط دمشق حيث زوجت هناك من أمير مسلم<sup>(٢)</sup>. ولما رأى أودو ما حل

(١) واسمها بالفرنسية Cuidad de la Peurta وقد كانت تقع على إحدى ممرات البرية وتسمى أحيانا بريكاردا  
تجلبط الرواية سيرة لامبجيا وزوجها بكثير من النقص الخيالية فشايفة التي اتخذت فيها بعد مستفي لحبال بعض الكتاب والشعراء غير أن معظم هذه القصص لا يخرج عن حد الأساطير  
(٢) كانت إمارة اكوتين في ذلك المين تمتد بين نهر الرون شرقا وخليج وسقونية غربا وبين القلار شمالا ونهر الجارون جنوبا وتشمل من مقاطعات فرنسا الحديثة امويان وبيجرود وساتونلج وبرانو وقتده وجوفا من انجو

بحليفه واستشعر الخطر الدائم تاهب للدفاع عن مملكته، وأخذ الفرنج والقوط في الولايات الشمالية يتحركون لمهاجمة المواقع الاسلامية، وكانت عبد الرحمن يتوق إلى الانتقام لمقتل السمع ومزيمة المسلمين عند اسوار تولوشة، ويتخذ العدة منذ بد ولايته لاجتياح مملكة الفرنج كلها. فلما رأى الخطر محدقا بالولايات الشمالية لم يربأ من السير إلى الشمال قبل أن يستكمل كل اجته، على أنه استطاع أن يجمع أعظم جيش سيره المسلمون إلى (غاليا) منذ الفتح، وفي أوائل سنة ٧٣٢ م (أوائل سنة ١١٤ هـ) سار عبد الرحمن إلى الشمال مخترقا أراغون (النهر الأعلى) ونافار (بلاد البسكنس) ودخل فرنسا في ربيع سنة ٧٣٢ م، وزحف توارا على مدينة (آرل) الواقعة على نهر الرون لتخلفها عن أداء الحزبة واستولى عليها بعد معركة عنيفة نشبت على ضفاف النهر بين قوات الدوق أودو، ثم زحف غربا وعبر نهر الجارون وانتصر المسلمون كالسيل على ولاية اكوتين<sup>(٣)</sup> ينجون في مدنها وضباها، فحاول أودو أن يقف زحفهم، والقي الفريقان على ضفاف الدوردون فهزم الدوق هزيمة فادحة. ومزق جيشه شر مزق، قال ايزيدور الباجي: «الله وحده يعلم كم قتل في تلك الموقعة من النصارى، وطارد عبد الرحمن الدوق حتى عاصمته بورديو (بردال) واستولى عليها بعد حصار قصير، وفر الدوق في نفر من صحبه إلى الشمال، وسقطت اكوتين كلها في يد المسلمين. ثم ارتد عبد الرحمن نحو الرون كره أخرى، واخترق الجيش الاسلامي برجوتيا واستولى على ليون وبيزانصون<sup>(٤)</sup> ووصلت سرياته حتى صانص التي تبعد عن باريس نحو مائة ميل فقط، وارتد عبد الرحمن بعد ذلك غربا إلى ضفاف اللوار ليم فتح هذه المنطقة ثم يقصد إلى عاصمة الفرنج<sup>(٥)</sup>. وتم هذا السير الباهر، وافتتح نصف فرنسا الجنوبي كله من الشرق إلى الغرب في بضعة أشهر فقط. قال أدوار جيون — «وامتد خط الظفر مدى ألف

(٣) وهي سقطت رأس الشاعر الفرنسي الأشهر فكتور مرغو  
(٤) يقدم هاردون شرحا آخر لير عبد الرحمن فيقول: «انه زحف أولا على آرل وحاصرها فبالد الكونت إلى انجلاها طغية عبد الرحمن ومزقه والجاء إلى القلار ثم عبر عبد الرحمن نهر الجارون واستولى على بورديو. وكان للكونت قد جمع جيشا جديدا وحاربوه وهزمه فهزم مرة أخرى. ثم اخترق عبد الرحمن بيجرود وساتونج ونواتو وهو ينخن في تلك الاعماء حتى انتهى إلى تور Cardonne ; Hist.de L'Afrique et de L'Espagne I. 129 ولكن عبد الرحمن انتقم ولحق الرون ايضا كما بينا وقد شرحنا سيره طريقا لجميع الرديت مجتمعة وطبقا للسوانع الجغرافية التي تتعلق بهذه الفترة. وقد يكون ان عبد الرحمن لم يمر نفسه شمالا نحو بورجونيا ولكن الجيش الاسلامي انتعم هذه الاعماء بلا ريب.

(٥) الفصل الثاني والخمسون Roman Empire

## الى روح شوقي بك

نخيم الليل وفي آفاته  
ملكك عيني كتيب عاشق  
شاعر قد ضاقت الدنيا به  
روحه النكلى بكت فقد المنى  
مات يدعو الله في احزانه  
أطلق اللهم قيدي في الهوى  
وأعد نفسي الى حيث الورى  
كل يوم للردى سخرية  
تترامى لى تهاويل الاسى  
كحسان عاريات تكسى  
واثبات تنزى حسرة  
كلما في الليل مالت نجمة  
أو رأيت الطير في دوحته  
خلته العاشق في وحدته  
عذبات الانس ما عانقتها  
زهرة الجثمان في رباعها  
والاماني لم تزل في فجرها  
عطفك روحي على ربحانها  
ثم ولت وهي عبري بعدما  
غالها الدهر بسهم صائب

ثم قاضت روحه طاهرة  
صدح الليل لما اشرفت  
وجرت في مقلة الشمس دماها  
وصداح الطير نوع من بكائها  
عمر ابو قوس حاب

### وعائنه

مأنت في ثوبك مدر الدحي  
أنت وربي منه صورت  
تأسر الآه قهفو لذي  
لا تحتجب بالبعد عما فشا  
وأنت في ذاتك سر وذا  
يا نعمتي في محنتي ، داوي  
تعال زود شفتي قلة  
حوص

كلا ولا أنت غزال شدن  
للناس من كل أنيق حسن  
مرآك من كل فؤاد قن  
يعرف فضل الحسن إن لم بين  
حسنك في أبصارنا قد علن  
يا سكني إما تجافى السكن  
من قبل أن يسرع فيك الزمن  
رفيق فاخوري

مبل من صخرة طارق إلى ضفاف اللوار. وقد كان انتحام مثل هذه المسافة يحمل العرب إلى حدود بولونيا وربي أيكوسيا. فليس الرين بامنع من النيل أو الفرات ، ولعل أسطولا عربيا كان يصل إلى مصب النيمز دون معركة بحرية ، بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن في معاهد أكسفورد وربما كانت متابرها تؤيد لمحمد صدق الوحي والرسالة .

أجل كان اللقاء الحاسم بين الاسلام والصراينة، والشرق والغرب، على وشك الوقوع . وكان اجتياح الاسلام للعالم القديم سريعا مذهشا ، فانه لم يمض على وفاة النبي العربي نصف قرن ، حتى سحق العرب دولة الفرس الشاخنة ، واستولوا على معظم أقطار الدولة الرومانية الشرقية من الشام إلى أقصى المغرب ، وقامت دولة الخلافة قوية راسخة الدعائم فيما بين السند شرقا والمحيط غربا ، وامتدت شمالا حتى قلب الأناضول ، وكانت سياسة الفتح الاسلامي مذ توطدت دولة الاسلام ترمى الى غاية أبعد من ضم الأقطار وبسطة السلطان والملك . فقد كان الاسلام يواجه في الأقطار التي افتتحها من العالم القديم ، أنظمة راسخة مدنية واجتماعية ، تقوم على أصول وثنية أو نصرانية ، وكانت النصرانية قد سادت أقطار الدولة الرومانية منذ القرن الرابع ، فكان على الخلافة أن تهدم هذا الصرح القديم وأن تقيم فوق انقاضه في الأمم المفتوحة نظما حديثة . تستمد روحها من الاسلام وان تذلل النصرانية لصولة الاسلام سواء بفكر الاسلام بين الشعوب المفتوحة أو باخضاعها من الوجهة المدنية والاجتماعية لنفوذ الاسلام وسلطانه ، وكان هذا الصراع بين الاسلام والنصرانية قصير الأمد في الشام ومصر وأفريقية ، فلم يمض نصف قرن حتى غير الاسلام هذه الأمم بسيادته ونفوذه ، وقامت فيها مجتمعات اسلامية قوية شاملة ، وغاضت الأنظمة والأديان القديمة ، ثم دفعت الخلافة فتوحها الى أقصى الأناضول من المشرق وجازت الى اسبانيا من المغرب . قاما في المشرق فقد حاول الاسلام أن يتغذ الى الغرب من طريق قسطنطينية ، وبعثت الخلافة جيوشها واساطيلها الزاخرة الى عاصمة الدولة الشرقية مرتين : الأولى في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٨ هـ ( ٦٦٨ م ) والثانية في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ ( ٧١٢ م ) وكانت قوى الخلافة في كل مرة تبدي في محاصرة قسطنطينية غاية الاصرار والعزم والجلد ، ولكنها فشلت في المرتين وارتدت عن اسوار قسطنطينية منهوكة خائرة .

• يقع •



# الحرية في الكتابة

ومدى التجديد فيها

لست أقصد بحرية الكتابة ما يقصده كتاب السياسة حين يكتبون عن الصحافة والصحف ، وما يجوز للصحف ان تعرض له وما لا يجوز لها الخوض فيه ، وإنما أقصد ذلك القدر من الحرية الذي ينبغي ان يتمتع به الكاتب الاديب حين يكتب مقالته او ينشئ رسالته ، واسأل : أهو قدر غير محدود ؟ وهل هي حرية غير ذات نهاية او حد ؟ أم هو قدر من الحرية مهما اتسع افقه وطال قطر دائرته فان له حداً لا ينبغي للاديب ان يتجاوزه ، وقواعد لا ينبغي له ان يطغى عليها فيمحوها او يغير منها ؟ وقد دعاني الى هذا التساؤل ما قرأته في المدد الاخير من الرسالة للاديب الفاضل حبيب شماس يخاطب فيه الدكتور هيكل بك فيقول له : « اغلط واكثر من الغلط الموهوم وكسر من هذه القيود التي كسر بعضها من قبلك طه ، ويختمه بقوله : « ان اغلاط اكابر الكتاب هي صك تحرير النشء الصاعد »

وليست المسألة ان يخطئ الدكتور هيكل او يصيب ، ولان يكسر الدكتور طه قيوداً من قيود الادب او يتركها تغل الايدي والاقلام ، وإنما المسألة مسألة اللغة العربية وما وضع لها من قواعد وحدود ، كما وضع لغيرها من لغات العالم كله ، فان هذه الاغلاط والاعطاء إن ايسح للدكتور هيكل وغيره من كبار الكتاب أن يقعوا فيها ، فليس لاحد بعد ذلك ان يحظر على النشء الصاعد ما ايسح للنشء الذي صعد ، وسيعاؤل اولئك المخطئون من النشء ، ان يبرروا اخطائهم كما يفعل كبار كتابهم وقادتهم من الادباء ، ولكنهم عندئذ لن يقدموا دليلاً على صحة ما كتبوا كما لم يقدم اكابر الكتاب دليلاً على صحة ما كتبوا ، وإنما سيؤول الامر في ذلك كله إلى ارادة الكاتب وهواه ، وسنعود في قواعد اللغة العربية إلى مثل ما نحن فيه الآن من خلاف في النقد الادبي ، أهو قائم على قواعد وأسباب بعينها ، أم هو قائم على الذوق وحده ؟ وسيري كل في اللغة العربية ما يريد ، هذا يرفع المفعول وذاك ينصبه وذاك يجر الفاعل وهذا ينصبه ، فإذا سأله في ذلك أو تعدت قوله قال لك دعني فاني هكذا

أكتب ، وهكذا أريد ، ولن أغير في كتابتي وان أكتب غير ما أريد وستفرد اللغة العربية اذن بهذا الأسلوب الغريب المتعدد الذي لا ضابط له من قواعد ولا قياس ، فتفوق بذلك لغات الارض قديماً والحديث ، وسيكون ذلك كله باسم التجديد في اللغة والادب . ان هذه اللغة العربية ليست لغتنا نحن المصريين ، وإنما هي لغة طفت على اللغة المصرية ، واحتلت مكانها فصارت لغتنا وأخذناها ونحن راضون بها مطمئنون اليها ، فهي لغة كتاب السواد الأعظم من المصريين ولغة نبهم الكريم ، فاما أن نحرص عليها وعلى قواعدنا ونسير وفق مناهج أصحابها ، وأما أن نغير تلك القواعد ونجعلها موافقة لطبيعة عصرنا وأمزجتنا ، ونصطلح على قواعد لا يختلف فيها نشء صعد ولا نشء صاعد ، أما قبل ذلك التجديد فليس لنا الا ان تتبع مالدنيا من قواعد اللغة ونحوها . يقال أن هذا التجديد الذي يحدثه كبار الكتاب فيما يكتبون سيصبح مع الزمان قواعد تتبع ونماذج تحتذى ، بل هو قيل بالفعل ، ولكن ليس كل الكتاب من الأكابر ، وليس من الممكن أن تقصر التجديد على كبار الكتاب ونحظره على الناشئين منهم ، ولستأنا من على اللغة من هؤلاء الناشئين أن يفسدوها من حيث أرادوا لها تجديد أو إصلاحاً . للكتاب أن يغيروا من الأساليب كيفما يشاءون ، وأن يصطنعوا الاطباب أو الايجاز كما يريدون ، فان هذا كله خير للغة ودليل على غناها ومرونتها ، ولكن في حدود القواعد المرسومة والنحو الموضوع ، ولا يعني أن تكون تلك القواعد جديدة نصطلح عليها الآن أو أن تكون هي التي بين أيدينا والتي أجامر بانها في حاجة كبيرة إلى الإصلاح ، فالقصد هو أن نزع اللغة من برائن الفوضى ، وما دام الكتاب كباراً في وسعهم من غير شك أن يكتبوا فيحسنوا الكتابة ، وأن يعرضوا أفكارهم الناضجة وآثارهم الادبية فيحسنوا عرضها ، وأن يحافظوا مع ذلك كله على قواعد اللغة ؟

محمد قدرى لطفي  
اسكندرية  
ليسانسيه في الآداب

## الورد الأبيض

اقاصيص مصرية وصور منه الغم الغصصى الحبيب

بقلم محمد أمين حسونة

يطلب من جميع المكتبات الشهيرة وثمنه خمسة قروش

# في الأدب العربي

## عكاظ والمرید

للاستاذ أحمد أمين

— ٢ —

وقد يتفاخر الرجلان من قبيلتين فيفخر كل قبيلته ومكارمها ، يتحاكان إلى حكم عكاظ ، كما فعل رجل من قضاة فافر رجلا من اليمن فتحاكما إلى ذلك الحكم (١)

ومن كان داعيا إلى إصلاح اجتماعي أو انقلاب ديني كان يرى أن خير فرصة له سوق عكاظ ، والقبائل من أنحاء الجزيرة مجتمعة ، فمن قبل الدعوة كان من السهل أن يكون داعيا في قومه إذا عاد إليهم ، فرى قس بن ساعدة يقف بسوق عكاظ يدعو دعوته ويخطب فيها خطبته المشهورة على جبل له أورق ، فيرغب ويرهب ويحذر وينذر ،

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجه إلى دعوة الناس بعكاظ لأنها تجمع القبائل ، روي الواقدي أن رسول الله أفام ثلاث سنين من نبوته مستخفيا ، ثم أعلن في الرابعة فدعا عشر سنين ، يوافي الموسم ، يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ والمجنة وذى الجواز ، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره حتى أنه يسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة ، حتى انتهى إلى بني عامر بن صعصعة فلم يلق من أحد من الأذى ما لقي منهم (٢) وفي خبر آخر أنه أتى كندة في منازلهم بعكاظ فلم يأت حيا من العرب كان ألين منهم (٣) وعن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج في الموسم فيدعو القبائل فما أحد من الناس يستجيب له ندائه ويقبل منه دعاه ، فقد كانت يأتى القبائل بمجنة وعكاظ ومنى حتى يستقبل القبائل ، يعود إليهم سنة بعد سنة ، حتى كان من القبائل من قال : أما آن لك أن تباين منا ؟ من طول ما يعرض نفسه عليهم ، حتى

استجاب هذا الحى من الأنصار (١)

وروى البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بسوق عكاظ عليه جبة حمراء فقال : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا ، ويتبعه رجل يكذبه وهو أبو لهب بن عبد المطلب (٢)

كذلك كان لعكاظ أثر كبير لغوى وأدبى ، فقد رأينا قبائل العرب على اختلافها من فحطانيين وعدنانيين تنزل بها ، وملك الحيرة يبعث تجارتها إليها ، ويأتي التجار من مصر والشام والعراق (٣) ، فكان ذلك وسيلة من وسائل تفاهم القبائل ، وتقارب اللهجات ، واختيار القبائل بعضها من بعض ما ترى أنه البقى بها وأنسب لها ، كما أن التجار من البلدان المتمدة كالشام ومصر والعراق كانوا يطلعون العرب على شيء مما رأوا من أحوال تلك الأمم الاجتماعية . وفوق هذا كانت عكاظ معرضا للبلاغة ومدرسة بدوية يلقى فيها الشعر والخطب وينقد ذلك كله ويهذب ، قال أبو المنذر : وكانت بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد مآثره وأيام قومه من عام إلى عام فيما أخذت العرب أيامها وغرورها ، وكانت المنابر قديمة يقول فيها حسان :

أولاء بنو ماء السماء توارثوا دشق بملك كابر بعد كابر  
يؤمنون ملك الشام حتى تمكنوا ملوكا بأرض الشام فوق المنابر (٤)  
فيقف اشراف العرب يفخرون بمناقبهم ومناقب قومهم ..  
فبدر بن معشر الغفاري . . . كان رجلا منيعا مستطيلا  
يمنعته على من ورد عكاظ فاتخذ مجلسا بهسذه السوق وقعد  
فيه وجمل يبرح على الناس ويقول .

نحن بنو مدركة بن خديف من يطعنوا في عينه لا يطرف  
ومن يكونوا قومه بغطرف كانتهم لجنة بحر مسدوف  
فيقوم رجل من هوازن فيقول :

أنا ابن همدان ذوى التغطرف بحر بحور زاخر لم ينزف  
نحن ضربنا ركة المخندف اذمدها في أشهر المعرف (٥)

(١) ص ١٠٥ . (٢) البيهقي ١ ص ٢٣ و ٢٤ . (٣) يروون أن عبد الله بن جدعان أتى مصر فباع ماله وعاد إلى سوق عكاظ . انظر الأكليل للهمداني جزء ٨ ص ١٨٤ وما بعدها . (٤) الأزمدة والامكنة ١٧٠ . (٥) الأغانى ١٩ ص ٧٤

(١) أمثال الضبي ص ١٨ (٢) دلائل النبوة ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) ص ١٠٣ .



وعمر بن كلثوم يقوم خطيباً بسوق عكاظ وينشد قصيدته المشهورة:

ألا هي بصحنك فاصبحينا (١)

والاعشى يوافي سوق عكاظ كل سنة ، ويأتي مرة فذا هو  
بسرحة قد اجتمع الناس عليها فينشد المالحق (٢)  
والابغة الذبياني تضرب له قبة آدم بسوق عكاظ يجتمع اليه فيها  
الشعراء فيدخل اليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى والخنساء  
فينشدونه جميعاً ويفاضل بينهم وينقد فيما زعموا قول حسان :  
لما الجففات الغر يلعن في الضحى

فيقول لحسان قلت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر .  
وقلت يلعن بالضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان الملق في المديح  
لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً (٣)

ودر يدين الصمة يمدح عبدالله بن جدعان بعدان وجاء فيقول :  
إليك ابن جدعان اعلمتها مخفة للسرى والنصب (٤) الخ  
وقس بن ساعدة يخطب الناس خطبته المشهورة فيذكرهم  
بالله والموت ورسول الله يسمع له (٥) ، والخنساء تسوم هودجها  
براية وتشهد الموسم بعكاظ وتماظم العرب بمصبتها في أبيها  
عمر بن الشريد وأخوها صخر ومعاوية ، وتنشد في ذلك القصائد ،  
فلما وقعت وقعة بدر وقتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة  
والوليد بن عتبة أبلت هند بنت عتبة إلى عكاظ ، وفعلت كما فعلت  
الخنساء ، وقالت اقروا جلي بجمل الخنساء ففعلوا ، فماظمت هند  
الخنساء في مصبتها وتناشدت الأشعار : تقول احداهما قصيدة في  
عظم مصبتها وترد الأخرى عليها (٦) ، وعلى الجملة  
فكانوا في عكاظ يتبايعون ويتماكظون ويتفاخرون  
ويتعاجون ، وتنشد الشعراء ما تجدد لهم ، وفي ذلك يقول حسان :  
سأشر ما حيت لهم كلاماً ينشر في المجمع من عكاظ  
فن هذا كله نرى كيف كانت عكاظ مركزاً لحركة أدبية  
ولغوية واسعة النطاق كما كانت مركزاً لحركة اجتماعية واقتصادية .

### نظام سوق عكاظ

كانت القبائل — كما أسلفنا — تنزل كل قبيلة منها في مكان  
خاص بها ، ثم تتلاقى أفراد القبائل عند البيع والشراء أو في  
الحلفاء المختلفة . كالذي حكينا أن الأعشى رأي الناس  
يجتمعون على سرحة ، أو حول الخطيب يخطب على مبر ،  
أو في قباب من آدم تقام هنا وهناك ، ويختلط الرجال بالنساء

(١) الأغاني ٩ ص ١٨٢ (٢) الأغاني ٨ ص ٧٩ ، ٨٠

(٣) أغاني ٨ ص ١٩٥ ، ١٩٦ (٤) أغاني ٩ ص ١٠

(٥) أغاني ١٤ ص ٤١ و ٤٢ (٦) صفة جزيرة العرب ص ٢٦٢

في المجمع ، وقد يكون ذلك سبباً في خطبة أو زواج أو  
تنادر (١) وكانت تحضر الأسواق — وخاصة سوق عكاظ —  
أشراف القبائل ، وكان أشراف القبائل يتوافون بتلك الأسواق  
مع التجار من أجل أن الملوك كانت ترضخ للأشراف ، لكل  
شريف يسهم من الأرباح ، فكان شريف كل بلد يحضر سوق  
بلده ، إلا عكاظ فاهم كانوا يتوافون بها من كل أدب ، (٢) .

والظاهر أن المراد بالملوك هم الأمراء ورؤساء القبائل  
الذين يرسلون بضائهم لبيعها في أسواق العرب كملك الحيرة  
والفساسة وأمراء اليمن ونحوهم — وكانت القبائل توثق لرؤسائها  
اتارة في نظير اقامتهم بالسوق ، فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه  
أخبار أسواق كثيرة كان يعشرها أشرافها — أي يأخذون  
العشر (٣) وفي عكاظ كانت القبائل تدفع لأشرافها هذه  
الأتارة فهازن كانت توثق زهير بن جذيمة الأتارة كل سنة  
بعكاظ ، وهو يسومها الخسف وفي أنفسها منه غيظ  
وحقد (٤) وكانت الأتارة سمناً وأقطاً وغنماً (٥) ، وكان  
عبد الله بن جمدة سيداً مطاعاً وكانت له أتارة بعكاظ يوثق بها ،  
ويأتي بها هذا الحى من الازد وغيرهم ، ومن هذه الأتارة  
نياب (٦)

وكان الأشراف يمشون في هذه الأسواق ملثمين ، ولا  
يوافيها (عكاظ) شريف إلا وعلى وجهه برقع مخافة أن يؤسر  
يوماً فيكبر غداً ، فكان أول من كشف طريف المنبري ،  
لما رأيهم يطلعون في وجهه ويتفرسون في شبائله ، قال : قبح  
من وطن نفسه إلا على شرفه ، وحسر عن وجهه وقال :  
أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عريفهم بتوسم  
فتوسموني اتني أنا ذلكم شاكي السلاح وفي الحوادث معلم  
إلى آخر الآيات (٧)

وكانت على سوق عكاظ كلها رئيس إليه أمر الموسم وإليه  
الفضاء بين المتخاصمين ، قال أبو المنذر : وتزعم مضر أن  
أمر الموسم وقضاء عكاظ كان في بني تميم . . . . وكان من  
اجتمع له ذلك منهم بعد عامر بن الظرب العدواني سعد بن  
زيد بن مناة من تميم ، وقد فخر المخبل بذلك في شعره :  
ليالي سعد في عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب

(١) أسطر لاغاني ج ١٠ ص ١٤٥ وما بعدها وج ١٣ ص ١٤٠ وما بعدها

(٢) الأتمة والامكنة ٢ ص ١٦٦ (٣) اليعقوبي جزء ٢ ص ٣١٢ وما

بعدها (٤) الكامل لابن الأثير ١ ص ٢٢٩ (٥) أغاني ١٠ ص ١٢

(٦) أغاني ٤ ص ١٣٦ وما بعدها (٧) الأتمة والامكنة ٢ ص ١٦٦

حتى جاء الاسلام فكان يقضى بمكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع (١)

تاريخ عكاظ :

من العسير جدا أن نحدد بدء عكاظ ، فلم نجد في ذلك خبرا يصح التحويل عليه ، يقول الألوسي في بلوغ الأرب : أنها اتخذت سوقا بعد الميل بخمس عشرة سنة ، ولكن إذا بحثنا في الأحداث التي رويت في عكاظ وجدنا ذلك غير صحيح ، فهم يروون — كما قدمنا — أن عمرو بن كلثوم أنشد قصيدته في عكاظ ، وعمرو بن كلثوم كان على وجه التقريب حول سنة ٥٠٠ م . كذلك إذا عدنا إلى ما رواه المرزوقي في الأزمعة والأمكنة عن رؤساء عكاظ وجدنا أنه عدم قبل الاسلام عشرة ، أو لم عامر بن الظرب العدواني . وهذا — من غير شك — يجعل تاريخ عكاظ أبعد مما يحكى الألوسي بزمان طويل ، كذلك يروى الأغاني أن علة زوجة عبد شمس بن عبد مناف باعت أنحاه سمن لمكاظ (٢)

وظلت سوق عكاظ تقوم كل سنة ، وكانت فيها قبيل الاسلام حروب الفجار ، وهي حروب أربع ، وكان سبب الأولى على ما يروى ، المفارقة في سوق عكاظ . وسبب الثانية تعرض فتية من قريش لامرأة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ . وسبب الثالثة مقاضاة دائن لمدينه مع اذلاله في سوق عكاظ ، وسبب الأخيرة أن عروة الرجال ضمن أن تصل تجارة النعمان بن المنذر إلى سوق عكاظ آمنة فقتله البراء في الطريق (٣)

فكلها تدور حول سوق عكاظ ، وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وشهدها النبي وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه ، وقال : كنت يوم الفجار أنبل على عمومي (٤)

واستمرت هذه الحروب نحو أربع سنوات . وقد كانت هناك نزعتان عند أشراف العرب نزعة قوم يقصدون إلى السلب والنهب وسفك الدماء لا يصدم صادم ، ولا يروعون حتى الأشهر الحرم ، ويتحرشون بالناس ، فيمد أحدهم وجهه في سوق عكاظ ويتحدى الأشراف مثله أن يضربوها فتور من ذلك الثائرة (٥)

وفريق يميل إلى السلم ودره أسباب الحروب ونجاح التجارة والأسواق بتأمين السالكين وعدم التمرض لهم بأذى ،

- (١) أسطر تعداد من ولى عكاظ في الأزمعة والأمكنة ٢ من ١٦٧  
(٢) أغاني ١ من ٨٤ . (٣) انظر النقد القريب ٣ من ١٠٨ والأغاني .  
(٤) النهاية لابن الأثير مادة فجر (٥) الأغاني ٤ من ١٣٦ .

جاء في تاريخ يعقوب : « أنه كان في العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق فسموا المحلون ، وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة المحرمون ، فاما المحلون فكانوا من أسد وطية وبني بكر بن عبد مناة وقوم من بني عامر بن صعصعة — وأما الذادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيان . . . فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس (١) — .

وكان من أشهر الداعين إلى السلم عبد الله بن جدعان . فقد كان إذا اجتمعت العرب في سوق عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جدعان ، ثم يردّها عليهم إذا ظفروا ، وكان سيدا حكيمًا مثريا (٢) .

ويظهر أن أصحاب هذه النزعة الثانية وهم الذادة هم الذين سموا هذه الحروب حرب الفجار ، لما ارتكب فيها من الفجور وسفك الدماء ، وهم الذين تغلبوا فيها بعد ونجحوا في وقف هذه الحروب ، ودعوا الناس أن يعدوا القتلى فيدوا من فضل ، وأن يتعاقدا على الصلح ، فلا يعرض بعضهم لبعض ، وربما كان من أثر ذلك حلف الفضول ، وقد عقد في بيت عبد الله بن جدعان هذا .

واستمرت عكاظ في الاسلام ، وكان يعين فيها من يقضى بين الناس ، فعين محمد بن سفيان بن مجاشع قاضيا لمكاظ ، وكان أبوه يقضى بينهم في الجاهلية وصار ذلك ميراثا لهم (٣) ولكن يظهر أن هذه الأسواق ضمت شأنها بعد الفتوح فأصبحت البلاد المفتوحة أسواقا للعرب خيرا من سوق عكاظ .

وصار العرب ينشئون المدن الكبيرة لتضاء أغراضهم ، فضعفت أسواق العرب ومنها عكاظ . ومع ذلك ظلت قائمة وصكان آخر العهد بها قبيل سقوط الدولة الأموية . قال الكلبي : « وكانت هذه الأسواق بمكاظ ومجعة وذى الحجاز قائمة في الاسلام حتى كان حدثنا من الدهر ، فاما عكاظ فانما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الأباضي في سنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركت حتى الآن ، ثم تركت مجعة وذو الحجاز بعد ذلك . البقية على صفحة ٢٧ »

- (١) البغوي ٢ : ٣١٣ وما بعدها (٢) انظر الأغاني ١٩ من ٧٣ وما بعدها (٣) الأزمعة والأمكنة ج ٢ من ١٦٧ وما بعدها .



## ٤٠ طرائف الشعر

### شوقية لم تنشر

وهذه قطعة أخرى من أدب الأطفال عنوانها الفرق بالحجران،  
ظنما شاعر الخلود شوق لك ولم تنشر.

الحبوان خلقك	له عليك حق
سجدة الله لك	وللعباد قلبك
حمولة الأتفال	ومرضع الأطفال
ومطعم الجماعة	وخادم الزراعة
من حقه أن يرفقا	به والا يرهقا
إن كل دعة يسترح	وداؤه إذا جرح
ولا يجمع في داركا	أو يظلم في جواركا
بهيمة مسكين	يشكو فلا يبين
لسانه مقطوع	وما له دموع

### بين صياد وأسد

للشاعر الفيلسوف، صميل صوفي الزهراوي

لاني سامة وهو الضيف الضاري في الغاب صياد أساد وأنمار  
فقال واليد تحوى بندقيه 'ياقي عليه سؤال العائب الزاري  
باليث قل لي: لماذا أنت ذو ولع بقتل بالقورة<sup>(١)</sup> ترعي وبقار<sup>(٢)</sup>  
فقال بالقتل يغريني السعار فسل من كان يقتل لهوا بالدم الجاري  
وقد أحاول قتل النفس مشرأ<sup>(٣)</sup> والقتل للهو غير القتل للنار  
وربما اضطرني للقتل معترض وما على القاتل المضطرب عار  
القتل فيه حياة لي سأشكر من له حباتي يا نيايب وأطمار  
اصوم يومى وحسي أن يكون علي دم عييط لظي صدت افطاري  
لأنت اضعف مخلوق، ويد هشي ماني سلاحك من سحر واسرار  
إن الفضيب<sup>(٤)</sup> الذي تلهو بدالك به يكاد يخطف منه البرق ابصاري  
وتعتري رجفة منى القواد لدى سماع صوت له كالرعد هدار  
وهذه الارض من خوفى سأهجرها فقلت تسمع بعد اليوم اخباري  
لأنت اعدى عدوى لي يطاردني وانت اجدر من عادى باكباري  
فدكت أحى عريني أن بطوف به وحش<sup>(٥)</sup> واني ذاك القصور الضاري  
إذا زارت فاني مثل راعدة أو انقضضت فاني شبه إعصار

(١) جماعة البقر (٢) صاحب البقر (٣) بنشد به التاء

(٤) كناية عن البندقية

(٥) اللعن، العاشق.

وقد اهاجم جاموسا فاصرعه بضربة من يميني ذات آثار  
ما أكثر الوحش في الآجام واغلة وما بها كل ذى ناب بمخوار  
واليوم اتى على ماني من نقرة بقوى خائف من زندق الواري  
الليل مك اذا ماجن يسترني اما الثمار فواش غير ستار

اني أقر بارزاري التي عظمت لو كان يذهب اقراري بارزاري  
ان كنت اقل ذا شربها جنى فقد قتلتم الوقا غير اشرار  
بالسيف، بالارء بالغازات خائفة وبابنعات ألرباء الفانك الساري  
ونحن إما اردنا البطش نذركم وتفكرون بنا من غير انذار  
ندنو فقتل بالانياب عن كشب وتقتلون برغم البعد بالنار

كانت لنا الارض ملكا قبل خلقكم من صلب فرد طريد آكل العار  
سل ان شككت رجال العلم بعتروا بما اقول وما ذو الجهل كالداري

بلى اصرء اذا ما حمت مفترسا لكنني لست في شبي بضرار  
لا أوتر القتل حبا في محاسن بل ان في حاجتي بعثا لا يثاري  
خلقت ليثا مصورا وسط غابته ولم اكن انا في خلقي بمختار  
اني بكوني رتبلا لمفخر فلا تعين اخلاق واطواري  
وجدت في الغاب نفسي ضاريا اسدا فهل يغبر منى الهازي الزاري؟

ولست تعلم ما نفسي نرى حسنا فان رأسك يحوى غير افكاري  
اما الحياة فليست مثل ما زعموا مقسومة بين اشرار وابرار  
ادبر عيني في الاحياء ارقها فلا الاق امامي غير اشرار  
ان القوى لبق والحياة وغي في البر في البحر في لاجواء في الغار  
ولا يعيش عززا غير مجترى ولا يموت ذليلا غير خوار  
تود سجنى لو تسطيع في قفص ويمقت السجن حرشيل احرار

### الحريف والزهرة

همس الحريف لغرسة فواحة  
اليوم يرقصك النسيم وتلتوى  
اليوم تفرح بالرياح خائلا  
اليوم تسكرك الطيور وتسمعه  
لكن غدا أو غدا اذا خف الهوى  
يمشي الشحوب على محاسك التي  
وأمد كفي للزهور تهزها  
فندري حياة للمعذاب تألفت  
قالت حياتي يا حريف عزيزة  
انا كالغواني تستلذ العيش ما  
قال الحريف: أميتها وتميتني  
ضحك الريح لها وبرعم عودها  
بيد النسيم من الزهور قدودها  
جلت مطارف زهورها وبرودها  
بين على الفصون مرثيا غريدها  
وذوت ازاهير المنى وورودها  
سطعت يزيل خطوطها وييدها  
تبا، فيفرط شذرها وفريدها  
ويل الشقاء يشوبها ويعودها  
وانا على رغم الشقاء أريدها  
فتنت أشع ميولها وخدودها  
قال الريح: تعيدني وأعيدها  
خليل هندواي

## عبر

لاسر المملوك قدم سابقة في الادب موهبة سائلة في الشعر ،  
ورسم الله فوزي المملوك قد ابتدا الشعر من حيث انتهى غيره ،  
ولو لم يحضر وهو في ريق العمر لارى الناس كيف ينحضر الشعر  
وينجد الادب . وقد نفع اليوم من هذه الاسرة الكريمة الشاعر الشاب  
شفيق المملوك : فقد نظم ملحمة عنوانها « عبر » ثم نشرها في  
الاراول - وسكنى اليوم باعتبار شوقها على ان تعود الى الكلام  
عها في عدد قادم

قال في الفاتحة :

بايقظة تسمع عن مقلتي اغفاءة طارت وحلماً نأى  
ان الضحي صعد انداسه علي سراجي فغدا مطفاً  
ومن تكن حالته حالتي لم يستمع بالى الاسوأ  
ما الفرق في نومي وفي يقظتي وكل ما في يقظاتي رؤى ؟

شيطانه الشاعر :

على الرب استاق شعاع الضحي يعبك فيه الارج العاطر  
فعاق الزهر وضممتها غمامة علقها الناظر  
غمامة يدا أراها اذا شيطان شعري تحتها سائر  
كأنه لما بدا خفية أظهره فوق الثرى ساحر  
في فـ من سقر قطعة منها يطير الشرر النائر  
روجه جمجمة راعى انيابها والمحجر النائر  
كأنما محجراً كوة يطل منها الزمن النابر  
اقبل نحوي قاتلاً اني طوع لما يقضى به الأمر  
انبت والبل طوي ذيله فعم صباحاً ايها الشاعر

...

قلت لشيطاني : أمن سائق اتيتني ام من شقوق الثرى ؟  
تقال اني جئت من بقعة خافية تدعونها عبرا  
نرس فيها الجن عرافة ترى بزجر الطير ما لا يرى  
الشعر ولاها شياطينه فسادت الهوجل والهوبرا  
ساحرة مظلسم مسحها تطوي بها الاجيال والاعصرا  
تقفو السعالى اثرها كلها أججت المنديل والعبرا  
جن ، من الور جلايبها في كل سعادة ترى نيرا  
تضطرب الارض مني اقبلت قاذفة عزيزها المنكرا  
فقم بنا صاح الى عمر نجومس ذاك المجهل الاوعرا

...

وانطلق الشيطان في الجوى كأنه النيزك او اسرع  
مكنك من فقاره قبضتي مندفعاً أصنع ما يصنع  
حتى تهاوى بي الى موضع ماراقتي من قبله موضع

غمام زرق علي منها منازل جسد رانها تسطع  
تور في ابراجها ضجة بها يضيق الافق الاوسع  
فقال هذى عبر ما ترى وضجة الجن الذي تسمع  
عزت على الانس فن حولها ابالس الابراج تستطلع  
انحاؤه الاربع مرصودة تحرسها الزعازع الاربع  
ما افلت الانسى من زعزع الا تاق صدره زعزع

الشهرة :

جنية تمن في وثبا كأن شيتاً حولها راعها  
حللتها كالضوء شفافة عن بشرة تزيد اشعاعها  
كأنما الشمس التي كورت من حلقات النور اضلاعها  
القت الى الارض بما أبدعت ليكبر العالم ابتاعها  
ان بسطت ذراعها احججت ملناعة تود ارجاعها  
م اراها وهي مأخوذة تطوي ، على ما لا يرى ، باعها  
من عالم الاجساد مبلورة بنمة تود اشباعها  
لشهوة في نفسها طاردت في ظلة الادغال ابتاعها  
تعاقد الارواح حتى اذا خابت ، مضت تحمل اوجاعها  
شفيق المملوك

« عكاظ والمربد - بقية المنشور على صفحة ٢٥ »

واستقوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة .... وآخر سوق  
خربت سوق جاشة خربت سنة ١٩٧ أشار قها . أهل مكة على  
داود بن عيسى بتخريبها فخرها وتركت الى اليوم (١)  
فمكاظ عاصرت العصر الجاهلي الذي كان فيه ما وصل  
اليها من شعر وأدب ، وجرت فيها أحداث تصل بحياة النبي صلى  
الله عليه وسلم قبيل بعثه ، ومهدت السيل قيل الاسلام لتوحيد  
اللغة والادب ، وعملت على ازالة الفوارق بين عقليات القبائل ،  
وقصدها النبي صلى الله عليه وسلم يبيت فيها دعوته ، وعاصرت  
الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي ولكن كانت  
حياتها في الاسلام أضعف من حياتها قبله ، وبدأ ضعفها من  
وقت الهجرة لما كان من غزوات وجروب بين مكة والمدينة  
أو بين المؤمنين والمشركون ، فلما فتحت الفتوح رأى العرب في  
أسواق المدن المتحضرة في فارس والشام والعراق ومصر عرضاً  
عنها ، ثم كانت ثورة أبي حمزة الخارجي بمكة فلم يأت من الناس  
على أموالهم فخرت السوق ، وتختمت صحيفة الحياة حافلة ذات  
أثر سياسي واجتماعي وأدبي ،  
ويتبع ،

(١) أخبار مكة للذوق ص ١٢١ و ١٢٣ .



# في الأدب الشرقي

منه الأدب التركي الحديث

## بين صديقين

منه ريف الوناضول الى ضمائل الوناسة  
للكتاب الاجتماعي يعقوب قدرى

من يدري مدى الحيرة التي تنتابك ، والدهشة التي تستولى عليك ،  
حينما يقع بصرك على امضائي في آخر هذه الرسالة ؟  
فقد انقضت أعوام وانا لم أكتب اليك حرفاً ، وانت لم تخط  
الى سطر . ولا ريب انك ستجد في صوتي الذي اخترق حجاب  
هذا الصمت الطويل ، رجماً لصدى غريب من صداء ما وراء  
الطبيعة . وهل أيا - والحق يقال - إلا رجل يخاطبك من وراء  
الطبيعة ويناديك ؟؟

ان هذه الحرب الطاحنة ، والفوضى الجارية ، قد بدلنا كل شيء ؛  
حتى أصبح كل من خرج منهما سالماً ذا أنباء وأخبار كأنما هو  
باسرار القيامة عالم ، وعلى أدوار ما قبل التاريخ واقف .

ان هذه السنين الخمس من أعمارنا مملوءة بحوادث خمسة عصور  
فلاشياء التي كنا نعلمها ، والملاح التي كنا نعهدها ، قد أصبحت  
غريبة عنا ، ليس لنا بها من عهد . وأنا اليوم لا أجد في نفسي  
القسوة على أن أتذكر أيام الصبي التي كنا نقضيها مجتمعين ،  
والكتب التي كنا نقرؤها مشتركين ، والأعمال التي كنا نقوم بها  
متعاضدين ، والخيالات التي كنا نبني عليها سمادتنا متفائلين ، وكل  
ما استطع ان أتذكره اننا لم نكون في تلك الأيام أسعد بالاً ولا  
أحسن حالاً منا في هذه الأيام .

وأنا أريد ان اوضح هنا لنفسي بنفسي فلا أوفق ، فيخيل الى

الآن انني كنت بانشاد الشمر مشغولاً ، وابك كنت بالرسم مفتوناً ،  
في السنة الأولى من عهد الانقلاب ، سكنت أنا في عالم الآداب  
شاعراً معروفاً بعض المعرفة ، وكنت انت في عالم الصناعة النفيسة  
رساماً مشهوراً بعض الشهرة ، واتنا كنا أكثر رفاقاً انهما بالمليس ،  
واكثر ائماً للسكن ، واحتفالاً بالمأكل : فكنا نقضي ايامنا بالذهاب  
الى المآدب الفاخرة ، أو بالسعي في ترتيب الملاهي الساهرة .

على انني اذكرك أن شهرتنا الصغيرة ، وثروتنا التي كانت  
تمهد لنا السيل الى رغباتنا ، والأعجاب الشديد الذي كان يظهره  
رفاقنا بنا ، كل ذلك لم يكن ليروي ظناً نفوسنا الصادية ، ولا ليطفي  
حرارة قلوبنا المتأججة . وكنا اذا ما انفردنا بانفسنا تنشأ كيما يجول  
في خواطرنا من رغبات ، وما يحتاج في ضمايرنا من نزعات :  
فلطالما كنا نحتقر محيطنا وبيئتنا ونشتم من عالمنا وإقليمنا ، فكانت  
ضائتنا المنشودة ، أوروبا . . . . .

وكنا حين نسير في الشوارع ، اذا تطاير الى أوثابنا الوحل ،  
أوتناثر على أحذيتنا الغبار ، اشمازت نفوسنا ، واكفهرت وجوهنا ،  
وزفرنا زفرة وصحنا : « هل يستطيع الانسان أن يعيش في هذه  
البلاد ؟ »

وأخيراً ذهبت انت الى روما ، وانا الى باريس . ولكن يخيل  
الى أن تلك الرسائل التي كنت ترسلها الى من روما ، وأرسلها اليك  
من باريس ، كانت مملوءة بنفس الشكاوي ، مغمورة بعين الأحزان .  
فكنت تقول : « ان مظاهر الصنعة الباهرة ، ومشاهد الفن  
الساحرة ، لا تكفي لترويح روعي المعذبة ، وتسكين نفسي المضطربة ،  
وبالرغم من وجودي بين الجدران ، وتحت السقوف التي زينها  
( ميخائيل أنجلو ) و ( رافاييل ) يرشتمها البديعة ، فاني متقبض  
النفس ولهان ، مشرد الفكر حيران ، وان ذلك السجين الذي  
يحبس في الآنية الضيقة ذات الهواء الفاسد ، والحلك الدامس ، لا يعرف  
معنى القسوة والشدة ، مثل ما اعرف ، فما الذي أريد ، وعم  
أبحث ؟ . . . . . »

هكذا كنت تقول ، وكنت أجيبك : « أجدني في هذه المدينة الكبرى وحيداً ، أرجو السلوان فلا أجده ، والتمس المزاء فلا القاء . فمن أنا بين هذه الجوع الفقيرة ، ومن يدري بي ؟ فان الجنون والخيال كاداً يخالطاني لولا كني التي كانت تعيد الى نفسي الأمل والتفاؤل بين الفينة والفينة ١ »

لم يمض زمن طويل ، حتى عدنا ادراجنا الى الأستانة ، فكنت أنت قد سئمت الرسم ، وكنت أما قد تركت الشعر

فكنت أقول : « قد قيل كل شيء ، وشعر بكل شيء » ، فالفائدة من ترديد الأقوال التي يجتهد الأذواق ، وتكرير الأحاسات التي تفرقت منها الأسماع ؟ ؟

وكنت تقول : « ما الذي يرسمه الإنسان ويصنعه ، بعد أن رأى جدران كنيسة ( سيكستين ) المزخرفة البديعة ، وسقوفها الملونة الجلية ؟ فيطرد بالرسم إما أن يكون فناً كأنجلو ، وأما أن يترك الرسم لأهله . »

وكانت الحياة تمتد أمامنا وتنبسط ، ونحن نسير بجملة وبسرة كالثبات في البادية القفراء التي لا حد لها ولا نهاية .

فكنا في وطننا وبلدنا ، وبين اخذنا واخلاتنا ، مهذارين لا عمل لنا ولا شغل ، نطوف الشوارع حيارى ، ونجول في الأزقة كسالى . وكنت كلما استيقظ من النوم ، افتح عيني وأنا في سريري وأقول : « يا الهى كيف أقضى هذا اليوم أيضاً ١ ؟ » وأئن أنيناً شجياً كأن بين جنبي داء مبرحاً ، وفي أحشائي ناراً ملتهبة ، وهكذا كنت أضيق بالحياة ذرعاً ، واستخط على العالم كرهاً ، وبيننا أفكر ذات صباح في عثار جدى ، إذ خطر بيالى خاطر لم أفكر فيه من قبل : ذلك هو خاطر الذهاب الى مزرعة أبي ، لعل الهم يسري عني قليلاً ، والغم يهجرني ملياً .

فكنت تضحك مني يا أخى — وأنا أفارق الأستانة ضحكاً مشوباً بالآلم ، وبمزوجاً بالحنان ، وتقول : « الحياة الريفية في الأناضول ؟ ... إن ذلك لبعيد عنك ؛ وسوف ترى ١١ »

ما قد مضت ستة أعوام ، أنا هنا ١ ولا أكذبك إني تأملت في أوائل قدومي ، فساورني الهم والشجن ، واستولي على الغم والحزن ؛ ولكنني باعدت عن نفسي تلك الهموم ، وشمرت عن ساعد الجد وأخذت أسعى وأتعب ، بعد أن سئمت الحياة المدنية المتكلفة ، وضجرت من العيشة اللدية المتصنعة فلت الى الأرض أفلحها ،

والى الحيوانات أخدمها ، والى الزروع أتعهدا . ولم تمض سنة واحدة على مجئى حتى حولت ذلك البناء الصغير الى قصر كبير ، وتلك البحيرة الكدرة الآسنة التي كانت للجواميس مقبلاً ، وللخيول مشرباً ، الى بحيرة صافية الماء ، طيبة الرائحة . وكان يخترق المزرعة جدول أجرد ليس على ضفتيه نبات ولا شجر فأصلحت بجراه وغرست على جانبيه أشجار الصنوبر ، فغدا اليوم روضة ذات منظر يملأ العين ، ويبهج القلب . وأن تلك الأراضى الواسعة الجرداء ، والبرارى الشاسعة القفراء ، قد استرجعت حيويتها بفضل السباد والعناء ، فأخذت تدر علينا الحب الكثير ، والرزق الوفير .

وأما أنا يا أخى : فزنيس ( أغا ) قرية ، ترانى وأنا أجول في الأراضى ، وأطوف في البرارى ممتطياً صهوة جوادى ، قابضاً على سوطي ، محمر الخدين ، مخشوشن اليدين ، قد اكسبني العمل قوة العضلات ، ووهبني الجهد حدة النظرات .

نعم أنت مسعاًى قد أصابه أثناء الحرب بعض الاخفاق ، ومزروعاتي قد امتدت اليها يد الاملاق ، وذلك لثلية الشبان داعى الدفاع عن الوطن ، وكان يجدر بي أنا أيضاً الذهاب حينما ذهبوا ، والتوجه أينما توجهوا ، ولكن الأرض لم تدعنى أذهب ، ولم تتركني أجيب . ففضلت البقاء بين الاطعمال والنساء أسعى لسد عوزهم ، وقضاء حاجتهم .

وأنا يا أخى ما كتبت اليك هذه الرسالة إلا لتعرف أنت السعادة قد توجد في الأماكن التي لا تخطر على البال ، والمواقع التي ليست بذات جمال ، ولتعلم انها لا تنوافر بالشهرة ولا الثروة ، ولا بالسفاهة والعزلة ، وإنما تتوفر بالعمل المنتج في الأرياف ، والسعى المتواصل في المزارع .

فأنتك إذا كنت لا تزال في ذلك المكان المظلم الضيق الذي تركتك فيه ، فاسمع لي أن قول أن كل جهد تبذله فيما لا يثمر ضلالة عمياء تبعث الفلق والندم ، وكل سعى تقدمه فيما لا يذبح جهالة صماء توجب الحيرة والحذلان ؟

( سورية ) الربحانية : ( عمر لبسروق )



# في الأدب الفرنسي

## لامرتين والحريف

لامرتين شاعر راق الفكر، سليم الأسلوب، رقيق العبارة. وهو واحد من شعراء فرنسا المجيدين في القرن التاسع عشر. وإليه يعزى الفضل في إحياء الشعر الغنائي الفرنسي الحديث.

حياته :

ولد في ماكون ، في اليوم الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٧٩٠. وكان أبوه ملكيا متحمسا. وقد اضطر بعد عهد الإرهاب إلى الاعتكاف في ضيعة في بلدة ميبي Milly على مقربة من مسقط رأسه ماكون. وهناك شب ونما في اسرة حنون ومناظر طبيعية غاية في الجمال.

وقد اقيمت مقاليد تربيته إلى قسيس كريم كانت لهبه للأقاصيص وكلفه بها أثر كبير في لامرتين، حين كتب قصته «جوسلان Jocelyn» أرسله أبوه بعد ذلك إلى كلية ليون ثم إلى مدرسة بلي Belley الإكليريكية. وكانت دراسته حتى ذلك الحين ضئيلة تافهة قومها بعدد خروجه من المدرسة بمطالعاته العديدة، وبإنعامه النظر في الطبيعة، وبجره وراء الأحلام والخيال.

انتظم عام ١٤ في فرقة حرس الملك لويس الثامن عشر، ولم يتركها إلا بعد المائة يوم. وفي عام ١٨٢٠ نشر مجموعة من الأشعار باسم «التأملات». وقد لاقت هذه المجموعة نجاحا منقطع النظير، وكان لها أثر كبير في شهرة لامرتين وتوجيه حياته في طريق العظمة والمجد. وفي العام التالي عين كاتبا لسر المفوضية الفرنسية بفلورنسا. ونشر عام ١٨٢٣ مجموعة شعرية جديدة سماها «التأملات الجديدة». ثم دخل، بعد ذلك بسبع سنين، (الإكاديمية الفرنسية) وعكف على الرحلة والأسفار فزار بلاد اليونان وسورية وفلسطين. وكتب عند عودته، سياحة في الشرق.

غير أن الحياة السياسية جذبت إليها فرغب فيها، ومال إليها فرشح نفسه للنيابة وفاز في الانتخاب عام ١٨٣٣ دون أن يكون له آراء أو مبادئ سياسية مرسومة محددة. ثم اندمج شيئا فشيئا في صفوف المعارضة. ووجهته أشعاره نحو الأراء الديمقراطية فاستقبلها وحفل بها. ويبدو ذلك جليا واضحا في مؤلفه (تاريخ الجيرونديين) عام ١٨٤٧. وقد ساعد على سقوط الملكية بتمهيد الطريق لثورة يولية ١٨٣٠ التي انتهت بجلع شارل العاشر، وتنصيب مجلس النواب الفرنسي دوق أورليان (لويس فيليب فيها بعد) ملكا على الفرنسيين. وانتخب لامرتين عام ١٨٤٨ وزيرا للخارجية في الحكومة المؤقتة التي تألفت من الجمهوريين والاشتراكيين حين ملت فرنسا بحكم فيليب، إلا أن لامرتين اضطر إلى اعتزال السياسة والعودة إلى الحياة الخاصة بعد أن حل لويس نابليون المجلس وشتت أعضائه عام ١٨٥١.

وقد كانت كهولة لامرتين عذبة اذ اضطرت، تحت عبء الحاجة للئال، إلى الانقطاع إلى الإنتاج العاجل المهين لعبقريته والقاتل لذكائه. وقضى في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٨٦٩ بعد أن باع أكثر عقاره الموروث.

شعره :

هو شاعر عظيم ولكنه ليس بفنان موهوب، هو هاوي الشعر، كما يقول هو عن نفسه. وهو لا يستطيع حين يعوزه الوحي والألهام أن يفعل مثل غيره من الشعراء فيلجأ إلى كفاءته ومقدرته في الصياغة والتأليف ليسد بها حاجته وليشبع بها رغبته. غير أن مجموعة أشعاره الأولى التأملات، تكفي من غير شك لأن تجعل من لامرتين شيئا للشعر الفرنسي الحديث. وقد ساعد على ذلك أن يجرعه الشعرية هذه تضمنت كل الصفات الغنائية التي فانت شعراء القرن السالف الذين كانوا ينظمون أشعارا موسيقية في كل الموضوعات دون أن يفيضوا عليها شيئا من أرواحهم. أما لامرتين فينشدها ما أحس، من فرح أو حزن، ومن سرور أو ألم، ومن راحة أو نصب

وعبقرية لامرئين في مرونة اشعاره وتنوعها وفي تعبيره الدقيق عن المواطن السامية والافصح عنها الافصح كله وهو شاعر الطبيعة . عرف روح الاشياء وكنها دون ان يتجسم مرة محاولة تصويرها وتلوينها ، وهو يحب على الاخص ساعات الفسق وفصل الخريف الذي يمتزج بمظاهره الاخيلة والاهام في رقة وعذوبة . وهكذا يتلاشى فكره ، الذي ليس له من غابة محدودة ، في سحبات مبهمه عديدة ، وهو بمد ذلك يعرف كيف يستخلص لنا منها فكرة وينصح عما يحول في خاطره في وسبق عذبة جذابة . وقد بلغ لامرئين بوضوح الاسلوب وصفاته وتوافق نظمه وإيقاعه — وهما خلتان لازمتان للكاتب — درجة لم يبلغها شاعر قط . وقد ابدع لامرئين — دون تكلف أو جهد أو حقل — في نظم اشعاره وترقيتها وتنظيمها . غير ان البساطة والسهولة اللتين نظم بهما اشعاره اساءتا اليه من حيث لا يدري . فقد جعلناه عرضة للسهر واستعمال العبارات المبهمة الغامضة ، والقوافي البالية الركيكة وذلك نجده بوضوح حتى في القطع الجيدة القليلة من شعره .

مؤلفاته :

كتب لامرئين ، غير اشعاره الغنائية التي اشهرها ، التأملات الشعرية ، وه التأملات الجديدة ، اشعارا أخرى قصصية وفلسفية تذكر منها : موت صقراط ، وجوسلان ، ودسقوط ملاك . هذا الى مجموعة من المذكرات والقصص مثل « رحلة في الشرق » ، و « قائل » ، و « جرازيل » . وقد كتب ايضا في التاريخ وتاريخ الجيرونديين ، ولم ينس في آخريات أيامه ان يكتب ، دروسا عامة في الادب ، . والقطعة التي اعرض لترجمتها اليوم هي قطعة من مجموعة اشعاره التأملات الاولى . وقد كتبها في خريف عام ١٨١٩ . ولم تكن حاله الصحية وقتئذ على حال من الثبات والاستقرار . فقد كان نهباً لشتى آلام وعلل . هذا الى صدمة تلقاها من قبل ، اذ رفضت خطبته الآتية ماريان اليسا بيرسن الانجليزية التي أصبحت له فيما بعد زوجة . وهو يشير في الفقرة السابعة الى هذا الامل الضائع .

وقد اوحى بها الى لامرئين نوبة حادة من الحزن والكبد وقد صار موضوعها من الموضوعات التي يتميز بها شعر جماعة (الرومانسكين) . فالخريف ؛ صورة من الفناء والموت ، يحمل بين طياته الحسرة والتندم على السعادة الداهية .

وقد كتب في هذا الموضوع نفر من الشعراء الانجليز والفرنسيين الا أن لامرئين أسغ عليه ايضا من التعبيرات الدقيقة

استخلصها من حس وقيق وخيال واسع وقريحة خصبة . قال :  
— ١ —

سلام عليك ايها الخائل المكلمة بفضلة من الحضرة ا ويا ايها الاوراق المصفرة المتناثرة على العشب ، سلام عليك ايها الايام الاخيرة الجميلة ا ان حداد الطبيعة يلثم والى ، ويتنق ومشاربي .  
— ٢ —

وهأنذا اسير في الطريق المنزل حالما مفكرا ، وبحلولي ان ارى ثانية والمرة الاخيرة ، الشمس الكاسفة ، وقد أخذ شعاعها الواسي الضئيل يكشف الطريق بعدلأى لقدى وسط ظلمة الخائل الحالكة  
— ٣ —

حقاً اني اجد في لحاظ الطبيعة المحجبة حين تقضى في ايام الخريف جاذبية وسحرا ، انها وداع صديق ، بل هي ابتسامة لشفتين سيلجماهما عما قريب الموت الى الابد .  
— ٤ —

وهأنذا وقد شارفت أنق الحياة ، ما زلت اثلثت وانا ابكي امل ايام الطويلة المتلاشى ، وانعم نظري في حزن وحسرة في محاسن الحياة التي لم اتمتع بها بعد .  
— ٥ —

يا ايها الغبراء ، ويا شمس ، ويا وديان ، ويا ايها الطبيعة الجميلة الحلوة ، اني مدين لكن بدمعة وانا على حافة قبري ما اعبق النسيم بالعطور ! وما انق الضوء ! وما اجمل الشمس في نظر المحتضر !  
— ٦ —

كم أود الآن ان استشف هذه الكائنات وقد امتزج فيها الرقيق بالمر . فلربما بقي لي في هذه الكائنات التي اتناول فيها الحياة ، قطرة من الشهد  
— ٧ —

ولربما اخفي لي المستقبل ايضا في ثيابه أوبة لسعادة ضاع الامل فيها ! ولربما تفهم نفسي ؛ من بين الصفوف ، نفس اجعلها فتجيني !  
— ٨ —

تسقط الزهرة تاركة عطرها للريح الدبور ، وهذا وداعها للحياة وللشمس . وهأنذا اموت ! وروحي حين تفيض تصاعد كرجع صوت حرين شجي

محمود فهمي ادريس

ليسافسيه في اللغة الفرنسية وادبها

( الرسالة ) نشرنا هذه المقالة تشجيعا لسانا الناشئين في الادب واعلمهم قل ان يذكروا في الكناية يستكملون أداتها الضرورية من بحر وبيان فان اعمل ذلك شعر ما يؤخذ به الكاتب



## الاشعاع

للدكتور احمد زكي

وكيل كلية العلوم

من تلك الأشعة حكاية رائعة، وأحدثة جميلة تنعق عن صبر للانسان لا ينفد، وعن حيلة لا تعرف الحيلة، لا في استكشاف تلك الأشعة فحسب، بل في إلجامها وركوبها وتأنيسها حتى تكون ذلولا طيعا لا تنفر إلا اذا أراد الانسان منها النفار، ولا تبطش الا حين يريد لها على البطش

تناول السير اسحق نيوتن أظهر أنواع الاشعاع بالبحث فأمر أشعة الشمس في منشور ثلاثي من الزجاج، فبدل أن تخرج بيضا كما دخلت، خرجت خليطا من أضواء عدة ذات ألوان عدة. فأعاد تجربته ثم أعاد فخرج على أن ضوء الشمس الايض مزيج من عدة أضواء، أي أن اشعائها وأن ظهر متجانسا خليط من جملة اشعاعات مستقلة الحدوث. وأسمى هذا المزيج بالطيف، فكان هذا هو الحجر الاول في بناء علم الاشعاع الحديث

وانتقل الانسان يدأل نفسه بعد ذلك : وكيف تسافر أشعة هذا الضوء ؟ قال نيوتن انها تسافر في خطوط مستقيمة، وقال بنظريته المعروفة وفسر بها بعض الظواهر الضوئية كالانكسار، وبالنسبة أخذ عقل الباحثين يفتع بالشبه الذي بين سفر الضوء على متن الفضاء، وسفر الامواج على متن الماء، حتى اعتدوا الى اثبات أن أضواء الطيف انما اختلفت ألوانها من الاحمر الى البرتقالي الى الاصفر الى الاخضر الى الازرق الى النيلي الى البنفسجي لاختلاف في الطول بين موجاتها، واعتدوا كذلك الى ان الضوء الواحد ذا اللون الواحد اذا ضعف أو اشتد قائما يحدث ذلك اضعف الموجة أو اشتدادها، أعني زيادة ارتفاعها وانخفاضها، أو نقصها عن مسارها المستقيم في الفضاء، وان شئت فسم ذلك اتساعها، اما طولها فتأثرت لا يتأثر ما بقي اللون على حاله، فان تغير طول الموجة تغير اللون، فاللون الاحمر أطول موجة من البنفسجي؛ ولو انك

الاشعاع من أظهر ظواهر الوجود وأهم حادثاته الباطنة، تجده في المثل الصغير الحقيق، كما تجده في المثل الهائل الكبير، فالشمعة يحترق دهنها فيشع من احتراقه نور مضطرب ضئيل، يجهد ان يبدد من ظلمة الليل ما استطاع حتي يتبدد هو، والنجوم تتوقد في السموات العلى فتشع فتبعث في القبة الموحشة السوداء دوسا وتبعث فيها جمالا، ويتأجج هذا النور السبار الهائل، تلك الشعلة الدوارة الابدية التي اسميناها الشمس، فتشع علينا بالنور والدفء، وبالهدى والحياة

هذه أمثلة للاشعاع معروفة مألوفة، لأن العين تراها ولكنها ليست كل ما في الوجود من ذلك. ففي غير المألوف اشعاعات كثيرة لا تراها العين كشفها العلم. فالاشعاع اللاسلكي مثل حادث قريب الوقوع لا يزال يملأ قلوبنا بالاعجاب، وروسنا بالفكر والأمل والخيرة، ولكنه ليس الا بعضا من كل، ومثلا من مثل تحدث ظواهر بينة الخلاف شديدة التباين، وهي على شدة تفايرها وظاهر تناكرها وتعدد أسماؤها حبات في عهد واحد، وحلقات في سلسلة مطردة، وأفراد من أسرة واحدة، تختلف سمة وتقاسم ولونا، ولكن تحت هذا الظاهر المضطرب باطن مستقر تلتقي جميعا فيه، وتتوحد جميعا عنده. ولكل شعاع



وقفت في مسار هذين اللونين وعددت موجات الاحمر التي تمر عليك في ثانية ، وعددت مثال ذلك من البنفسجي لوجدت عدد موجات الاحمر أي ذبذبه اقل لطول موجتها من ذبذبة البنفسجي . وخرج العلماء من هذا كله بان الشعاع تتعين وتحدد بذبذبتها وبطول موجتها وبسعتها

بعد ذلك تساءلوا عما يحمل موجة الضوء من مكان إلى مكان . موج البحر يحمله الماء . وتهز الجبل قسيرا في موجة تبتدى من حيث مسه يدك وتنتهي حيث ربطته من الحائط . فالجبل أو كنانه هو الذي حمل موجته . فأي مادة حملت موجة الضياء حتى أتينا من الشمس والقمر والكواكب ؟ ليست هي مادة الهواء ، فانما الهواء غلاف كقشرة البرتقالة يلف الأرض ولا يصعد إلا أميالا نحو السماء ، وليست هي مادة مما نعرف من المواد ، بل ان الضوء يسير في الفراغ ، فان الانابيب المفرغة بالمعنى الذي نفهمه لا تعوق الضوء في انسيابه . ولكن الموجة طاقة متقلة ، والطاقة لا بد أن يتقمصها شيء . فإما هو هذا الشيء الذي عجزت حواسنا الموهوبة عن ادراكه ، وآلاتنا مهما دقت عن كشفه ؟ والآلات كثيراً ما بصرت بما عييت عنه العين ، وسمعت ما صمت عنه الاذن ، ونأت بانتقال توافه لا تحفل بها اليد . ما هو هذا الشيء المعلوم في وجوده ، الموجود في عدمه ؟

أن هذا الشيء المعلوم عند العقل العادي الذي لا يؤمن إلا بالذي يراه ، ولكنه موجود عند العقل العلمي الذي يتخذ من الآلات حواس جديدة فوق حواسه الخمس ، ويتخذ من حقائق العلم وتجارب العلم وماضي العلم وحاضره وماضيه ومفارجه دروساً وعبراً ، ويتخذ من التفكير العلمي وحواره وحجابه واستنتاجه منعقداً جديداً غير منقاد للشراب والطعام والملبس والمركب . موجود عند ذلك العقل العلمي الذي ليس جناحين من ذكر للماضي عاصم من خدعائه ، وثقة جريته في المستقبل لا تعرف إلا الامكان ، يطير بهما في مجاهل لا يفي فيها السمع والبصر ، ومفاوز علي حرد البشريه أشبه بالمعاني منها بالمباني ، وبالارواح اللطيفة منها بالاجسام الكثيفة .

هذا الشيء الذي لا بد أن تسير فيه موجات الضوء موجود عند ذلك العقل العلمي بالرغم من ظاهر انعدامه ، منظور بالرغم من خفائه ، ملموس ولو افلته الاصابع . واذن فلا بد له من اسم . فاسمونه الاثير . وما مادته ؟ لست أدري ولا المنجم يدري . وما خواصه ؟ لا يعرفها حتى الذي أسماه . سئل الاستاذ أولفرلودج العالم الطبيعي المعروف عن تعريف له فقال في كلمات ثلاث : هو شيء يتموج . وان كان لا بد لك من تعريف فقل انه شيء له من الخواص ما يآذن بانتقال موجات الضوء فيه علي نحو ما نعرف وفقاً للقوانين التي نعرف ، والسرعة الهائلة التي نهدد . فمثلاً نعرف ان سرعة الموجة تتوقف على كثافة المجال الذي تطلق فيه ، ونعرف ان الضوء في سيره يقطع في طريقة العين ولحمة الحاطر مسافات يصعب على خيال المرء تصويرها ، فنستنتج من هاتين الحقيقتين ان الكتلة التي في سنيتمتر مكعب من هذا الاثير لا بد ان تكون هائلة الخقدار وبعد أن درس العلماء ألوان الطيف وهو كالمسلم بدرجاته السبع ، أسفلها الاحمر وهو اطولها موجة وأبطأها ذبذبة ، وأعلاها البنفسجي وهو أقصرها موجة وأسرعها ذبذبة ، أخذوا يبحثون عن موجات أسفل من الاحمر وأطول منه موجة ، وعن أخرى أعلى من البنفسجي وأقصر منه موجة ، فهدتهم التجارب الى صدق ما حدسوا : الى موجات دون الاحمر وهي الموجات التي تنتقل بها الحرارة من بين ما تنتقل ، والى موجات فوق البنفسجي وهي موجات ذات خواص كيميائية تستخدم في التصوير الشمسي ، وأمرها الآن معروف ومشهود ، وكلا هذين النوعين من الاشعاع غير منظور ، فالعين لا ترى إلا سلم الطيف بدرجاته السبع

وأحسن الطبيعيون بان شعاكات أخرى لا بد موجودة فيما دون الاحمر غير التي اكتشفت ، فاجرى العالم الطبيعي دهرثر ، تجاربه فكشف بها عن موجات جديدة غير مرئية وجددها شبيبة بموجات الضوء والحرارة ، إلا انها أكثر طولاً وأقل ذبذبة ، وسميت باسمه . وفي الناحية الاخرى في أعلى السلم اكتشفت موجات غير مرئية أخرى قليلة الطول كثيرة الذبذبة ، سميت بالاشعة الكهربائية المغنايسية ، ثم تلتها الاشعة السينية ،

لقلتم غرق اصابعه مس الكبر . الفرق بين الموقفين فرق بين الزمنين ، ذلك اني اليوم استطيع ان اعيركم هذه الاذن الجديدة ( وأشار الى سماعة اللاسلكي التي تلتقط الامواج ) تسمعون بها ما عجزت عن سماعه آذانكم ، ثم دار الاستاذ بعينه في ارجاء الحجرة الواسعة في صمت وبطء كأنما يستوحى جدرانها ثم قال : وليت شعري كم بهذه الفرة الآن من أمواج غير التي نحن بصدددها ، وليت شعري أي الآذان يتدعها الانسان لادراكها ، وليت شعري متى يكون هذا ... واني ، وأين ؟ ثم صمت يفكر وصمتا تنتظر . فقال : وما الحاطر يرد لي ولك في آن وبيتنا الاقطار العريضة والبلاد الواسعة ؟ ما التنذير يأتي قلبي وقلبك بالشر فيصدق حيناً ويكذب حيناً ؟ ما الايحاء ؟ ما الوحي ؟ وفنيت جلته في تمتعة لم نسمعها ، ورسمت بمناء في الهواء دوائر كأنما كانت تستكمل له رأياً لم يبع به أو فكرة وجد من الكياسة لا يذيعها ، أو لعله الهام جاءه على غير احتساب فشاء أن يتذوقه في مخدعه فرداً قبل أن يكون للجاعة شأن فيه . وفي العلم الهام كافي الشعر الهام ، وكما في النبوة وحي ؟

المعروفة باشعة ، أكس ، وقد افادت الطب أكبر فائدة وهي تنفذ في الرصاص الى نحو من خمسة سنتيمترات واليوم تحدث عن الاشعة الكونية ، Cosmic التي صعد الاستاذ منطاده في بالونه المشهور الى طبقات الجو العليا في طلبها ، وتحديث عنها وعن الجرائد منذ اشهر قليلة . وهذا الاشعاع الجديد لا يتوقف انبعائه على الكرة الارضية التي لنا الخطوة بالعيش عليها ، فهو ينبعث صباح مساء في السيف والشتاء غير آبه لنا أولها ، وينبث حاملا طاقة واحدة لا تزيد ولا تنقص ينفذ بها في الرصاص بضعة امتار وفي الماء نحو الثمانمائة من الاقدام . ما أثر هذه الاشعة الجديدة اكتشافا ، الازلية مولداً ، فما على الأرض من حياة ؟ ما اثرها في حياة النبات والحجوان وفي حياتنا نحن وازنى الأرض وما عليها ؟ يقول الاستاذ السير جيمس جينز ان هذه الاشعة تحلل في الثانية الواحدة ملايين الجزئيات من اجسامنا . ان كان هذا حقا فما أثقل التعاس الذي كنا فيه حتى نمنا كل هذه

القرون والاجيال عن أمر له هذا المساس القريب بذواتنا . ويأتري كم من امواج اخرى في هذا الفضاء تعمل فينا وفي اجسامنا وفي ارواحنا ، ونحن عنها غافلون . وهل يأتري سجد في هذا النوع من الاشعاع تفسيراً لى الجديد وشجوخة الشباب وفناء الحلى أذكر من سنوات عدة كلمة للسير لوليفر لودج لا أناسها إلا اذا نسيت حضرة الرائعة ، تزوعك منها قامت الطويلة وكثفاه العريضان ورأسه العظيم يطل عليك من فوق جسمه الكبير عجلاً بالشيب ، ولحية وقورة بيضاء صافية كصفاء ايمانه ، وعينان رادعتان تنظر اليك منهما حقب من الزمان امتلات علماً وفكراً في مبنى الوجود ومنه . كان يحاضرنا في جمع حائل أني يستمع للعالم الشيخ ، فساقه ختام المقال الى عفو من الكلام قال : ه ابا ما واقف بينكم في القرن العشرين في قاعة مملوءة بانواع عدة من امواج عدة ( يقصد الامواج اللاسلكية ) منبعه في اتجاهات عدة وكلنا صموت نسمع ولكنا لا نسمع شيئاً . ولكنا جميعاً برغم ذلك مؤمنون بوجودها . ولو اني وقتت بينكم هذا الموقف في القرن الغابر احذثكم عن هذى الامواج



إيسلديا إيليا أقطانكم رضوا ما بها بناية وأمانة  
شركة مصر للحليج الاقطان  
وابورات مايجنا في أغلب بلاد النظر  
رضى أكبر الوابورات استعداداً وأمنها معاملته

# القصص

قصة مصرية

## دموع بريئة للاستاذ محمود الحفيف

عرفته قتي في الثامنة عشرة ، طويل القامة في غير إفراط ، نحيل الجسم في غير هزال ، مهيب الطلعة في غير تأق ، حلو الحديث في غير تمكلف ، ولست أذكر وقد مضى على تعارفنا نحو ستة أعوام ما الذي جذبني إليه حينما رأيته لأول مرة ، حتى لقد امتزجت بروحي بروحه ، أهدوؤه ورواياته أم نشاطه وهيبته ؟ وهل ما أتذكره الآن هو أنني رأيته فأحبته ، ولشد ما أهبج نفسي أن رأيته يحس نحوي ما أحس نحوه ، فما هي إلا أيام حتى توثقت عرى المودة بيننا ، واستحكم الوداد بين قلوبنا ، وصار كلانا يأنس صاحبه ويهش لقائه ، ويحرص على رضائه .

ولما عاشرته وتبينت خلاله ، أعجبني منه أدبه الجم ، ووقاره العاقل ، وقلبه الرحيم ، وأكبرت منه نظراته الهادئة ونفسه المتوثبة ، وعواطفه الثائرة ، وشبابه المرح ، وروحته الجذابة .

وتبينت فيه شاعراً يقدس الجمال ويهشق الطبيعة في خيال خصب ، وذهن متوقد ، وحس دقيق ، كما تبينت فيه على حداته بليساً بعيد النظر ، دقيق الملاحظة ، حلو الفكاهة ، عذب الروح ، ورأيت مشغولاً بالحياة مقبلاً عليها قائماً بحفظه منها ، راضياً عن نفسه ، غير ساخط على أحد .

واقف جملتي منذ أن تعارفنا موضع سره ، يحدثني في غير تحفظ ويحمد عزاء طيباً في أن يبثني لواضع نفسه وخطرات حبه ، كما يحمد هنا سائغاً في أن أشاطره مسراته وأسباب سعادته .

وكان حديثه تارة حزينا يستدر الدموع ، وتارة بهيجا يملأ جوانب النفس سروراً وغبطة ، وكان يقص على مشاهداته في الحياة ، غير أنه كان يشفعها بأرائه أو يمزجها بخواطره فيكسبها بذلك قوة يحرك القلب وتستثير العواطف ، وكنت أحرص على أحاديثه إذ

أرى فيها خواطري كبير القلب راجع العقل . غاب عني شهراً فاشفقت أن يكون قد مسه الضر ، وأردت أن أذهب إليه ، ولكن الخادم أحضر إلي كتاباً تبينت خطه على غلافه ، فقضضته في شغف فاذا به يخبرني أنه سيكون عندي في المساء ، ومرت الساعات تقالاً حتى كانت الثامنة ، فاذا هو يطرق الباب ، ثم يفتح في هدوء . ودخل على شاحبا مكدوداً واجماً مهموماً . ومد إلي يده وكأته قرأ في وجهي إشفائي وتلطفي ، فابتسم ابتسامة قصيرة ، ثم جلس وقد انكأ بمرقه على حافة المقعد ، وأسند رأسه إلى قبضة يده ، وشملته كآبة مرعبة دق لها قلبي ، فانا أعرفه نائر العواطف واسع الرحمة يستوقف بصره بكاء يأنس فتدمع مقلناه ، ويطرق أذنه أنين ملئاع فيملك عليه مشاعره ، وكثيراً ما أظهرت له إشفائي فكان يضحك مني قائلاً : لاجيلة في ذلك فذلك جيلك ، ولقد كان يتهم نفسه بالطفولة ، ولكنه كان يعود فيفتخر بهذه الطفولة التي تملأ قلبه رحمة وحناناً . وأطرق قليلاً ، ثم رفع رأسه وقال وهو يضحك ضحكة غريبة ، نمبر عن الآسى والالام :

— هو شهر ، ولكنه قرن في حوادثه —

وتأقته لقد ألحبت شوقي بتلك العبارة فاصخت بسمي إليه ، وأقبلت بكليتي عليه ، وفهم هو من نظراتي أنني أستعجله ، فمز رأسه مزة عسوية وقال :

لله ما أغرب هذا المسرح الهائل ، مسرح الحياة الذي يموج بالأس في غير نظام ، وكل يلعب دوره حتى يسدل الستار عليه فاذا هو في طي الفناء وفي أغوار الأبدية . هذا ضاحك مستبشر ، وهذا فرح نخور ، وهذا يأنس محزون ، وهذا حائر مشدود ، وهذا ضعيف مستسلم ، وهذا مغتر متطاول ، وهذا . . . وأخيراً ينساوي الجميع فيساقون في سكوت كل إلى حفرة .

قلت أمرك عجب أيها الصديق ، وهل هذا ما يحزنك هنا الحزن ؟ لكأني بك قد اجتمعت فيك كل هذه الصور . ماذا أحزنك وعهدى بك مرحاً خلى البال ؟

وتنهت الفتى تنهداً عميقاً وقال :

— على هذا المسرح المرعب أو قل في زواياه التي لا تراها



إلا الأعين البصرة ، أو التي لا تراها الأعين إلا مصادقة ، على هذا المسرح الصاحب المضطرب ، وفي هذه الزوايا المتوارية عن الانظار يوجد من المأسى والالام ما يتفطر له القلب حقاً ... وقاطنته قائلاً : هون عليك يا فيلسوفنا الصغير ، وما لك ولهذا الانقباض وأنت في زهرة العمر ؟  
فنظر إلي نظرة لوم وقال :

— ما حيلتي وتلك جبلي ؟ يراني الناس ضاحكاً فرحاً فيظنون اني خلو من المصوم ، وثاقه ما ضحكى إلا خداع مني لنفسي ومغالبة لشعوري ، هو كالزهر الصناعي ينالط به الطفل نفسه ... ولكن ... ولكن أراك على حق ، فأضحك وسألهب وسأني كل شيء ... نعم سوف أضحك مع الضاحكين ... وسوف لا أبكي بعد اليوم مع أحد أو على أحد ...

وضاحكت أستطلع دخيلة نفسه وحقيقة أمره فاعتدل في جلسته وتوثب ونحفز واستجمع قوته ثم قال في قوة وعزم :  
هو دور لعبه أمامي وباليقيني لم أره ، ولكن ما أسخف لعبته هذه ... ليكن ما يكون وليكن ما قدر وهو كائن .  
قلت ما الامر ؟ انك تحيرني .

فاستطرد في صوت أبح لم أسمعه منه قبل اليوم وقال :  
د هن فتيات أربع ، جئن فسكن في المنزل المجاور لنا ، وكان قبل مجيئهن تسكن سيدة وابنها وهو قبيح في نحو الخامسة والعشرين ، ولقد تبينت بعد مجيئهن أنهم اخوته ، وكانت أول ما رأيتهن في ظهيرة يوم عند ما عدت الى المنزل ، فتحت النافذة كمادتني في كل يوم وإذا بي أراهن أمامي لا يكاد يفصلني عنهن إلا نحو سبعة أمتار ، وما وقتت انظاري علي حتى جري من سرعات الى داخل الحجرة واقفلن الباب من ورائهن ، إلا صغراهن وهى في العاشرة تقريباً فقد ظلت ترمقني بنظرات ماذجة بريئة ، وكأنها وكانت نجيد ، لعبة اليوبى ، قد أرادت أن تربي مهارتها فأخذت تلعبها وتنظر إلي ، فابتسمت فضحكت ودخلت الى اخوانها صائحة لاعبة .  
ومضيت أنا الى بعض المجالات فجعلت ألقها ولكن نظري كان كثير الانجاء دائماً نحو هذا المنزل او نحو ذلك الباب ، وأنت يا أخي تعرفني أحبباً لا استطلاع ولا أكاد أستقر حتى تصل نفسي الى ما تريد ، جلست أختلس النظرات وأتظاهر بالنظر الى الصحيفة التي في يدي ، فرأيت كبرى البنات وهى في العشرين تقريباً قد وقفت الى الباب فرأيتها ذات حظ من الجمال غير قليل ، غير انه جمال شاحب حزين ، وممرت اخنها الصغيرة أمامي وهى في نحو السادسة

عشرة تكسو عياها سمرة خفيفة ، وهى فتاة ضاحكة العينين مرحة جريئة النظرات ، سريعة الحركة ، خفيفة الروح الى حد عظيم .  
أما وسطاهن فلم تظهر طول ذلك اليوم - ولست أدري وأيم الله لم ضابقتي ذلك وكل ما أذكره هو أني أحسست بانقباض وضيق لعدم ظهورها ، على أني ما لبثت أن ضحكت ، بل وسخرت من نفسي ومضيت الى كتبي ونسيت من أمرها ومن أمرهن كل شيء .

وفي صبيحة اليوم التالي نزلت الى عملي فبينت وجهها من خلال زجاج النافذة ، جميلة رائعة الجمال ، دجاء المحاجر ، يضاء الوجه ، دقيقة الأنف ، حلوة اللثة ، ناعمة الصدر ، وفي ظهر ذلك اليوم رأيته واقفة فلم تهرب كمادتني بل رفعت إلي بصرها ، ثم دخلت حجرتها في هدوء ورزانة .

لا اكتملك يا أخي اني شعرت بميل نحو تلك الفتاة ، كان أول أمره معتدلاً عادياً . فقد أعجبتني منها رشاقة جسمها واتزان حركاتها ، وتناسق أعضائها ، وغضارة بشرتها ، وجمال عياها ، وكانت عيناها العجاوان ترسلان من أشعثهما حرارة الشباب قهر قلبي وتفتح جوانب نفسي ، حتى لقد صرت أجد في النظر اليها متعة وهناء أشبه بهناء النفس في حلم هادئ جميل .

غير ان ما جذبني اليها حقاً ، هو تلك الطرات الحزينة الهادئة التي كانت تتخلل نظراتها اللامعة القوية ، وتلك البسمات الخفيفة الفاترة التي كانت لا تلبث أن يطفئها وجوم غريب واطراق مؤثر .

وازداد مبلى اليها الى أن كنا صبيحة يوم فسمعت وأنا بين النوم واليقظة نحيباً متقطعاً ، ولست أدري لم انصرف ذهني اليها لأول وهلة ؟ فقفزت الى النافذة فرأيتها ووجهها بين كفيها ، باكية تن أنينا موجعا ، وأنا أترك لك أن تقدر لنفسك مبالغ ما نالني من الحزن في تلك اللحظة الرهيبة ، ولقد كدت أن أصبح بها أن كفكفي دموعك يا فتاة ، لولا أنها أفاقت سريعاً من غشيتها ومسحت دموعها في هدوء ثم نظرت الى الشمس المشرقة نظرة حزينة ، يهتز قلبي كلما ذكرتها ، ودخلت بعد ذلك الى مخدعها .

ومنذ ذلك اليوم عرفت طعم الألم حقاً ، وكانت تتمثل لي صورتها فيكتفني من الألم اللاذع ما يمزق شغاف قلبي ويحرك كامن وجدى ، ولا سيما وقد تكرر ذلك منها كثيراً في الصباح أحياناً وفي المساء أحياناً أخرى .

وأخيراً ... وأخيراً حم الفضاء ووجدت نفسي أسير تلك

الفناء الحزينة الباكية ، ولك أن تعجب مني ماشئت أنا الذي طالما  
سخرت من الحب وهزأت بالماشقين ، أنا الذي طالما وصفت لك  
الحب بأنه حلم من أحلام الشباب الخادعة ، وسراب غلب بحسبه  
الظلمآن ماء حتى اذا جاء لم يجد شيئا ، أو فورة دماء واضطراب  
مزاج لا أقل ولا أكثر ، ولكن الإنسان ضعيف لا يملك لنفسه  
ضرا ولا نفعا .

ولماذا أحببتها ؟ أمر جمالها الساحر قد ملك على نفسي ، أم  
هو حزنها العميق قد صادف عطفنا وحنانا في قلبي ؟ ولكن مالي  
أبحث عن سر حبها ، ومتى كان الحب أمرا يقل التعليل ويخضع  
للتحليل ؟ مالي لأقول أني أحببتها لأنني أحببتها ، ولنضحك بعدمنى  
ماشئت ، ولكن لم تضحك ؟ أليس الحب تفاعلا نفسانيا أو مزيجا  
روحانيا ، يأتي بكل سهولة وبغير أدنى ترتيب ؟

أحست باهتمامي بأمرها واشفاقا عليها ، فكانت تشكرني بابتسامة  
عذبة ، وصرت أرى في عينها ما يدل على الاعتراف بالجميل ،  
ولكنني كنت لأرى في نظراتها ما يدل على أنها تبادلني حبي وتطارحنى  
هيامي ، أنها كانت نظرات شكر وامتنان ، وثاقه أنها كانت تؤلمني  
أحيانا ، ولكنني كنت في سكرة الحب أعلل النفس بالآمال وأترك  
للند القول الفصل والحكم الأخير . ولكن تصرمت أيام دون  
أن أجرؤ على مخاطبتها ولو بالنحية .

وراقبتها مرة فرأيتها تأهب للخروج ، وثارت نفسي واعتراى  
جنون الشباب ، وامتدت يدي الى ملابسي فلبستها دون أن أشعر  
بشيء أو أدري ماذا أفعل ، وسرت في اثرها وان تؤادى ليخفق  
وان نفسى كلها لتتهز ، الى أن رأيتها تجلس وحدها على حافة قناة  
صغيرة كانت تقرب من المنزل ، وقد أطرقت قليلا ثم رفعت  
رأسها فإذا هي ترانى أمامها فساورها مزيج من الدهشة والابتسام  
والخوف والارتياح والغضب والرضى ، ولست أدري أنى جاءتنى  
تلك الشجاعة في تلك اللحظة الدقيقة ؟ فقلت في ثبات :

هل لي بإفاعة أن أسألك سؤالا صغيراً ؟

فنظرت الى نظرة عميقة فيها كثير من المعاني ، وبع نفسى أنى  
لأراها الآن ، أرى تلك العينين الدعجاوين ، وتلك التقاطيع الحلوة  
وذلك الفم الجميل وتينك اليدين الرشيقتين .

قلت وما سؤلك يا فتى ؟

قلت : هل لي أن أعرف سبب حزنك وبكائك ؟

فسرت رعدة قوية في أعضائها ، وتمشت صفرة فاقعة في وجهها ،

وكأننى هزئت بذلك السؤال كل كيائها ، وتمتعت بكلمات لم أسمعها  
ثم قالت :

شكرا لك على اهتمامك بأمرى . لست أستطيع ان أجيبك  
على ما سألت .

قلت ولكننى أريد أن أعرف .

فمظمت دمعيتها وبدأ على عيائها ذهول وخوف ، ثم قالت في  
حدة مصطنعة :

وما شأنك أنت والسؤال عن هذا ؟

قلت انى ... انى ... أريد ... أرجو ...

فساورها الشك في عقلى فلقد قرأت هذا الشك في نظراتها ،  
وحدثتني بنظرة طويلة وقد اغرورقت بالدمع مقلتها ، ثم أشاحت  
بوجهها عنى فألحفت وتوسلت فقالت :

إليك عنى واثق الله في فناء ضعيفة بريئة .

قلت لا أستطيع البعد عنك .

ثم انهمرت دموعى فصدقت ، وقالت وهى تنفض من شدة  
الاضطراب :

حسبك أحد أولئك الشبان الذين لا أخلاق لهم ، ولقد هممت  
أن أصرفك في قسوة .

ثم نظرت الى طويلا دون أن تتكلم ، فقلت في صوت خافت  
متقطع : مستكونين لي منذ الآن .

فتجهمت قليلا ثم ابتسمت ابتسامة فهمت من معانيها الندم  
والحسرة والآلم ، وهزأت رأسها كأنها تريد أن تقول لي انك  
لا تدرى من الأمر شيئا ، ثم قالت :

دعنى يربك ، ولا تشغل نفسك منذ اليوم بأمرى فلن يجديك  
ذلك نفعا ، وسبدي لك الأيام صحة قولى ، وصدق نصحى .

وكأنها ارتاعت لوقع ذلك على قلبي فقالت وهى تبكى :

آه ليتنى أستطيع . ليتنى أستطيع . أتركنى أشكرك على ...

وغلبها الحزن والبكاء فأجهشت كما يجيش الطفل . فظرفت  
إليها ولاطفتما ، ثم تواركت يدها فلم تمنع ، ولما أردت أن أجذبها  
نحوى نهضت قائمة وسارت لاتلوى على شيء ولم تلتفت وراءها ،  
وغابت عن بصرى في منعطف ، فبقيت في مكاني جامدا كالصخر  
ناثرا مضطربا ، ثم مرت على دقائق انتقدت فيها نفسى وحسى .

ومرت أيام وأما أنجنب الطراليا ما استطعت ، أيام كنت  
اثاءها كالذى يتخبطه الشيطان من المس ، ولقد بلغ من نفسى أننى

كنت أرى الأسرة كلها حزينة كأنهم مقبلون على أمر خطير .  
ولما ضاقت بي الدنيا كتبت إليها اطلب عفوها وأبشأ لواجع نفسي .  
وفي صبيحة يوم جلسنا جميعا يميني حول أمي وأنا حائر مشدود  
لا أدري من أمرهن شيئا ، فناديت البديل فأقبل وهو قى طيب  
القلب ، فقلت له : أندري يا قتي سر هذا الحزن ؟ وأشرت اليهن  
دون أن يرينني

قال أو ماتن ؟

قلت كلا .

قال ان صاحب المنزل قد أوقع الحجز ، عليهن وأعقبه بائع  
الحجز بحجز مثله وفاء لما عليهن من الدين وقد قرب يوم البيع .

قلت وقد دق قلبي دقا عنيفا - هل مات أبوهن ؟

قال خير لك الا تعرف عنه شيئا - ثم قال :

كان أبوهن تاجرا من كبار التجار ، وكان عظيم الثراء ولكنه  
لم يرع النعمة وراح يقامر مرة ، ويسرف مرة ، ويتعاطى المخدرات  
بكثرة مخيفة وهو الآن نزيل السجن من سنتين

وارتفع الدم بغزارة الى وجهي وأحسست بحرارة كحرارة  
المحوم ، ومرت غشاوة فحجبت بصري ورأيت الجو بعد برهة  
أصفر مكفرا ثم قلت :

وأخوهن ؟

قال هو شاب عاطل لا يجد لنفسه عملا مع أنه يحمل شهادة  
عالية . مناه أصدقاء والده كثيرا بوظيفة ولكن أين هي الوظائف  
الآن ؟ وكثيرا ما نصحه أن يلجأ الى أي عمل حر ، ولكن يظهر ان  
الأبواب سدت في وجهه .

قلت أو لم يتقدم أحد لخطبة البنات من قبل ؟

— قال بلى . خطبت الكبيرتان ولكن خطيبهما تركاهما بعد  
ما جرى لابين ماجرى . ثم سكت البديل برهة وقال في ألم : — مع  
أن البنت الوسطى ولعلك تعرفها ذات الشعر الأصفر ، كانت تحب  
خطبها لدرجة الجنون

— نصرفت ودخلت حجرتي كثيرا ملناعا وذرفت الدمع  
سخينا .

وسكت صاحبي برهة ثم قال في نبرات حزينة : رأيت كيف  
يقضى هؤلاء الأغنياء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ؟ ألا قاتل  
الله الجهالة انها أصل المواجه والآلام . ثم قال دونك فاسمع البقية ،

وبدت منه حركة عصبية كانت ظاهرة في يديه وعينه وصوته  
المبحوح وصدره المجروح ، قال :

في صبيحة اليوم التالي سمع سكان البيوت المجاورة صراخا  
عاليا ففتحوا النوافذ فوجدوا الدخان يتصاعد من نافذة المطبخ  
في ذلك المنزل ، أما أنا فكانني كنت أعلم بما سيجري من قبل ،  
فسكت ولكنه كان سكوت اليأس ، وتجلدت ولكنه كان تجلدا  
الاغناء . ومرع الناس فدخلوا المطبخ فاذا هي ممدودة على الأرض  
لا تبدى حراكا ، ولم يحترق منها الا شعرها ، وقرر الطبيب أن  
الوفاة بالاختناق . وارحمه لك يا ... حتى النار أكبرتك وأشفقت  
من أن تلهب هذا الجسد الطاهر ، ولكنك جدت بفدائرك الذهبية  
التي طالما تطلعت إليها الأعين وخفقت لرؤيتها القلوب

وهنا لم يتمالك صاحبي نفسه فاجش كما يجش الصبي وناولني  
قصاصة من الورق فقرأت فيها ما يلي :

وصلتني كلمتك الرقيقة يا صاحبي فضمنتها الى صدري وقبلت  
الخطاب من أجلك ، وذرفت الدمع سخينا شفقة عليك . ساعني  
واعف عني ، وسنتقابل في الحياة الأخرى حيث لا شقاء ولا  
عذاب ، وأرجو أن تستغفر لي الله في صلواتك ، الوداع . . الوداع  
والشكر الجليل !

ولما تلوت تلك الورقة وجدته قد غلبه النوم وطول  
الجهد فأخذت رجله برفق ومددتها علي المقعد وهدمت الى  
ملحفة فتشرتها عليه ، وخرجت على أطراف أصابعي وتركته  
لينام عليه يجد في النوم بعض الراحة ، وسألت الله أن يشفق  
به في أحلامه وأن يهب العزاء والسوان ؟

محمود الحنيف

## هل تريد ؟

هل تريد الوقوف على أسرار النفس وملكات العقل ؟

هل تريد إيقاظ المبقرية والنبوغ ؟

هل تريد أن تكون شخصية جذابة ؟

هل تريد أن تكون بارعا في عملك موفقا في حياتك ؟

هل تريد ممارسة فن التنويم المقناطيسي علما وعملا ؟

كل هذا أجدهم موضحا بأسلوب مبسوط واضح في كتاب

ملكات العقل الباطن

يطلب من مؤلفه الأستاذ وليم سرجيوس الحامي بشارع الذرعة البولانية  
رقم ١٥٦ بالقاهرة ومن المكتبات الشهيرة وثمة ٥ قروش



— 7 —

يقع بئر جندلي على خمسين كيلو متراً من القاهرة على ارتفاع ٣٠٠ متر من سطح البحر ، وقد قضينا بالقرب منه ليلتين ويوماً وسط طبيعة نقية هادئة مشرقة في صحبة أصدقاء مخلصين حياهم الله الصحة والبشر وسلامة الطوية - حقيقة انها سويكات تعد من أسعد فترات الحياة واصفاها ، وقد وافق اليوم الثالث من رحلتنا أول أيام العيد ، ففي الصباح صلينا ونحمرنا غزالة ثم قضينا اليوم في الوادي نلعب ونضحك وتسابق ونمرح ونمزح كأننا الاطفال الصغار ، وبعد الغداء جلسنا الى الدليل نستمع لحكاياته الطريفة عن حياته فقال - وقد مال في جلسته واستند ظهره الى حجر كبير ، وعقد يديه على راسه - من خمس وعشرين سنة كنت شاباً شقياً أجوب الصحراء شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً لا أستقر على حال ، وفي مرة نزلت السويس وقت موسم الحج فتحكتك بشيخ مغربي يحمل خرجين كبيرين بنوء بثقلهما ، فظن اني اسديه المعونة فمد يده الى رأسي ودعا لي بالهداية ودعاني أن أرافقه الى الحجاز ، وقد كان فأديت الفريضة واستقبلت الكعبة ، وبصوت عميق خلته يخرج من كل جسمي

وبعد قليل صاح الدليل : ها اكنوا لا تطلقوا النار ، ثم انه اطلق عيارا في الهواء وعندها برز رجلان الى عرض الوادي واندفعا نحو الجبال - فصاح الدليل : جماعة اطلقوا النار في الهواء ، فدوى في سكون الليل صوت البنادق كانه زججرة المدافع فتدعر الرجلان لهذه المباغنة ووقفنا مكتوفي اليدين علامة التسليم ، فانتقل اليهما سويل الجبال وقادهما الى حيث كان الدليل - فقالا انا قادمان من المرج قاصدين وادي الحقول على البحر الاحمر فامر مستعجل ، وفي المساء كنا نجتاز اليعنوم الازرق فشاهدنا ناركم فخرجنا عليكم لنستدفي - وما قصدنا بكم سوا ولكننا مداعبة على عادة البدو ، وبعد اخذ

ورد امن الدليل على قولها ثم سألها عن البعير فقالا انهما وجداه ضالا فساقاها امامهما حتى لا يقع غنيمه في يد اولاد علي ( اسم قيلة ) وبعد ان نفعناهما بطعام وكبريت انصرفا بسلام وقد تناسل الصبح ولاح .

قضينا اليوم الرابع في الصيد كذلك فوق سفوح جبل القطامية على ثلاث ساعات شرق بئر جندل وعند الظهر التقينا بوادي الغز بجبل ابو شامة حيث كانت تنتظرنا الجمال وبقنا فيه تلك الليلة وفي صباح اليوم الخامس غادرنا ابا شامة راجعين عن طريق البعيرات فوق مشارف وادي دجلة ، وبعد سير حثيث دام عشر ساعات من غير انقطاع وصلنا القاهرة عند المساء ونحن على احسن حال وفي اجود صحة .

المرمر داسه محمد

(الرسالة) لاحظ القارىء ولا ريب ان عبد الله بك واخوته يمثلون جيلا من الناس اولع بالصفة الباقية من صفات الفتوة وهي الصيد . والصيد رياضة بدنية نفسية تربي في الغفوس اخلاق الرجولة كالنخوة والمغامرة والقوة ، وقد كانت ولا تزال ديدن الملوك والامراء والقادة ، فمضى ان يكون لهذا الجيل بقية في مصر . وان يكون لهذه البقية اثر صالح في توجيه الناشئة لمثل هذه الرياضة .

## لغو الصيف

بقية المنشور على صفحة ٦٠

هذا حق ولكن الادباء اصحاب كلام ، وما داموا يتكلمون فهم يؤدون حق الناس عليهم ، فالتأخر لا ينتظرون منهم إلا ان يكتبوا لهم ما يقرأون . قال : لا كل ما يقرأون ، بل ما يتفهمون به إذا قرأوه . قالت : هنا تختلف ، فقد ينبغي أن تتفق أولا على معنى الاتفاص بما يقرأ ، أنت تريد إذا قرأت كتابا او فصلا ان تفيد شيئا جديدا أو ان تضيف علما الى علم ، وان تسمى حظك من الثقافة ، او ان تشير ما تقرأه في نفسك عاطفة او لونا من ألوان الشعور ، وانت لا ترضى من القراءة . دون هذا . فانت عسير ليست السيل الى ارضائك سهلة ولا يسيرة . وانت لذلك تلتصم قراءتك عند قليل جدا من ادباء الشرق ، وعند عدد غير كثير من ادباء الغرب . ولكنك تخطئ . كل الخطأ حين تزعم ان القراء جميعا يطلبون الى الكتاب مثل ما تطلب اليهم . ولو قد فعلوا لكان الادباء شر الناس حالا وادناما الى العجز والافلاس . أنت وامثالك تشقون على الادباء فيما يطلبون ، ولكني أنا وامثالي لا نطلب اليهم كل هذا أو لا نطلبه اليهم في كل وقت ،

فتحن نحب ان نتفح إذا قرأنا ، ولكننا نكتفي من القراءة بما دون ذلك . نريد منها ان تلهينا إذا ركبتا الترام او القطار ، وان تعيننا على اتفاق الوقت إذا لم يمكننا نشاطنا من العمل ، وان تدعو الينا النوم إذا ابطأ علينا . ولا تغضب إن زعمت لك اننا قد نضيق بالقراءة الخصة الغنية ، وتؤثر عليها هذه القراءة السهلة الفارغة التي لا تنفع ولا تضر ، ولكنها تعين على اتفاق الحياة . وانت تستطيع ان تنكر على أدبائنا ما شئت ، ولكنك لن تستطيع فيما اعتقد ان تنكر عليهم انهم يكتبون لنا من الكتب ، وينشرون لنا من الفصول ، ويثيرون بيننا من ألوان الخصومة والحوار ما يمكننا من ان نركب الترام والقطار ، ومن ان نقرأ إذا أجهدنا العمل ، ومن ان نتعجل النوم إذا طال انتظارنا له . وانت تظن ان هذا قليل ، وأؤكد لك ان هذا كثير ، فليس الامر ذو الخطر في الحياة هو ان تتعلم وتثقف انفسنا ، وانما الامر ذو الخطر حقا هو ان نحتمل الحياة ، وادبائنا يعينوننا على احتمال الحياة حقا بما يكتبون ويذيعون . قال : قد يكون هذا حقا ولكنه مؤلم ثم سكت وأطال السكوت . وسكت هي فاطمة السكوت . ثم مد يده الى قدحه فاستنفذ ما كان فيه من ماء الورد . وأراد ان يعود الى صمته ولكنها سأله باسمته : فم هذا الصمت الطويل ! أستمع أنت للحديث الزهر ؟ أم مشفق أنت من الطير والجن ان تم عليك بما تقول ؟ هنالك ابتم ابتسامة شديدة المראה وقال في صوت حزين : كلا لست استمع للزهر ، ولا أخاف الطير والجن وانما استمع لنفسي واخافها . فهل تعلمين انك قد بغضت الى الكتابة والاتاج الادبي منذ اليوم . قالت وهي مفرقة في الضحك : انا اولم اذا ؟ قال : من يدري ؟ لعلى لا أكتب ولا أنشر إلا لأعين القراء على أن يركبوا الترام والقطار ، وينفقوا الوقت إذا اضناهم العمل ، ويتعجلوا النوم إذا ابطأ عليهم النوم . قالت : لم أقل هذا وهني قلته ، أليس بكيفيك أنت تكون عونا لقرائك على احتمال الحياة ؟ قال : لا . قالت : انك لو اسع الطمع عظيم الكبرياء . ثم مدت يدها الى اناء من آنية الزهر فاخذت منها قرنفلة وضعتها في صدره ، ووردة أدتها من فمه . وقالت : لتلتصم عزاءك عند هذه الوردة ، وهذه القرنفلة فما أري إلا انهما قادرتان على هذا العزاء . ولكنك مخطيء ان ظننت انك قد انسييتي بهذا الحديث قصة الورد والقرنفل ، فما زلت أذكرها وانتظرها . فتحدث . قال : أنها يا آنسة قصة طويلة وليس هذا وقت البدء فيها . فاذا عدت من رحلتك السعيدة الى أوروبا فمأحدثك بها ، وانا زعيم بانك سجدتين في الاستماع لها لذة ورضى .

طه حسين





## أهل الكهف

للدكتور علي مصطفى مشرفة

عزيزي الأستاذ توفيق الحكيم

لطالما ناقت نفسي إلى رؤية أدب عربي أجده فيه الغذاء الروحي واللذة الفكرية، اللذين أفتهدا فيما أطلع عليه عادة من الأدب. ومع إيماني باليوم الذي يرتفع فيه أدبنا إلى المستوى العالمي، كنت أشعر بأن هذا اليوم سيجيء بحكم طبيعة الأشياء متأخراً، وربما رآه أهل جيلي، وربما حبت به الظروف أبناء جيل قادم. فلما قرأت «أهل الكهف» - الذي تكرمتم علي بنسخة منه - علت علم اليقين أن اليوم الذي كنت أترقبه قد طلع وملاّت شبه الآفاق قلم اتقي لست من الأدباء ولا من (المستأدين)، وإنما نظرتي إلى الأدب، كنتظري إلى غيره من نواحي الفن الإنساني: نظرة الرجل المثقف العادي يطلب الجمال والالهام الصادق حيث يجدهما، كما يتطلب مستوي خاصاً من التفكير المطلق المخلص فيه لوجه الحق حيث وجد. وفي رأيي أن «أهل الكهف» قد ارتفع من كل هذه النواحي إلى أسى ماقرأته. وإن كانت لي ملاحظة على كتابك فرمما كانت شيئاً من التحديد في دائرة ما تناولته فيه من الموضوعات، فإني كان أشوقني إلى رؤية بعض المسائل الاجتماعية مثلاً تعالج بنفس القلم الذي صور لنا إيمان المسيحيين الأولين وقابل لنا بين الحقيقة والتاريخ ولكن لعل ذلك شرافة مني، فالوليمة ولا شك فاخرة وإن كانت تشخذ شبه أمثالي.

لا تنتظر مني نقداً قنياً لروايتك التمثيلية فاشخاص الرواية كلهم أحياء يتحركون ويلبسون - ربما كان الملك أقل الشخصيات وضوحاً ولعلك تريد عديم الشخصية - والمواقف على أشدها تكون من التشويق والتأثير. وإلى حد ما، أستطيع أن أرى، ستكون روايتك ناجحة على المسرح إذا استطعت أن تجد لها ممثلين يفهمون أدوارهم فيها، واضئها تكون ناجحة بدون ذلك.

لم يبق علي بعد هذا إلا أن أشكرك على النجدة التي انطوى عليها إرسالك نسخة من كتابك إلي، وأن أرجو ما انتظره لك من التوفيق والسلام.

وجدت خطأ - لعله مطبعي - على صفحة ٨٨ السطر ٢ و فيها أرى، والصواب «لها»

## النجوم في مسالكها

تأليف الأستاذ جيمس جينز

وترجمة الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني

كتاب جليل الموضوع لطيف الحجم أتيق الطبع كان محله من المكتبة العربية خالياً. وضعه السير جيمس جينز أحد أساطين علم الفلك في العصر الحديث بأسلوبه المشرق وبيانه الرائع وعرضه الحقائق العلمية العويصة في معرض سهل المأخذ قريب التناول، وذلك ما انفرد به بين العلماء، وتميزت به كتبه بين الكتب.

بسط المؤلف في هذا الكتاب (خلاصة ما انتهى إليه العلم الحديث في الكون ونظامه وأصله ونشأته، وتركيب أجسامه وذراته، وتولدها وانحلالها، وبحث مدى الكون من حيث هو محدود أو غير محدود وامتداد أو منقبض، وعرج على الطاقة والأشعاع والنسبية، ثم بحث الحياة في عالمنا والعالم الأخرى في الكون<sup>(١)</sup>) واستوعب تفصيل هذه المباحث الطريفة في ثمانية فصول وأربعة ذبول.

قرأه الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني ناظر مدرسة القبة الثانوية - وهو في هذا الموضوع ثقة - فأعجب بمادته وطريقته فترجمه ترجمة أمينة رصينة. ولم يقف جهدهم إلا عند المترجم عند أمانة النقل. وإنما تجاوزها إلى مسألتين خطيرتين هما تصدير الكتاب، وتحقيق المصطلحات، فصر الكتاب بأن وضع للمصري مصورا للنجوم بين ما يرى منها في القاهرة على الدوام أو في بعض الأيام، كما وضع المؤلف مصوره مراعيًا فيه موقع إنجلترا وحال القاري فيها. وحقق المصطلحات بالرجوع إلى مظانها العربية ككتاب عجائب الخلق للقرطبي ومحاضرات السيور نلابنو المشرق الإيطالي، ثم جعل للكتاب لاحقاً يشتمل على فهرس أبجدي شامل لمواده، وقائمة بأسماء النجوم والبارات باللغتين العربية والانجليزية، وقائمة ثانية بالحروف العربية المقابلة للحروف اليونانية والرومانية، ثم قائمة ثالثة بالمصطلحات وما يقابلها بالانجليزية.

(١) مقدمة المترجم.



واثر الجهد والعناية باد في ترجمة الكتاب وتحقيقه وصورة  
وطبعه ، وحسبه مزية ان يكون السير جس مؤلفه ، والدكتور  
الكرداني ، مترجمه ، ولجنة التأليف والترجمة ناشرته ، ومطبعة دار  
الكتب المصرية طابعته .

ا . ح .

## رحلة إلى بلاد المجد المفقود

بقلم وريثة مصطفى فروخ - مطبعة الكشاف بيروت

كتاب أنيق الشكل جيد الطبع ، لا تكاد تتناوله حتى تدرك  
ان صاحبه من رجال الفن ، فهو يقلبه ويريشه ، على غلافه صورة  
لناحية من جامع قرطبة وقد كتب عنوانه من الخارج ج و من الداخل  
بخطين مختلفين طريفيين ، وتناثرت فوق صحائفه طائفة من الصور  
ألتقطت بعضها عدسة التصوير ، ونقشت بقيتها ريشة المؤلف الفاضل ،  
لجأت في مجموعها جامعة بين الجمال والفائدة ، ولذلك فالكتاب من  
هذه الناحية طريف خفيف انظّل .

وتقرأ في أوله كلمة تحت عنوان : الأندلس ، فتلس فيها  
إعجاب الكاتب بتلك البلاد وتشوقه اليها ، بل ييامه بها قبل زيارتها ،  
ولس ذلك في مثل قوله : أجل شغفت بها طفلاً وشاباً وسأحتفظ  
بها مدى الحياة ، وكأنك لشدة حماسه تسمع صوته ولست  
تقرأ عبارته ، ولذلك فالكتاب من هذه الناحية قوى الروح  
عميق الأثر .

ولقد أحسن الكاتب صنعا بأن مهدا كتابه بكلمة في أهمية  
الفن ، ثم بلحة في الفن العربي عامة ، والأندلس خاصة ، ثم  
بمجاله في تاريخ الأندلس .

قضى المؤلف أربعة أيام في مجريط ، ثم اتخذ سبيله الى طليطلة  
ويسمى المنبة ، فتح نفسه بحمال آثارها ثم عاد الى مجريط فاتخذ  
القطار من محطة مديوديا الى قرطبة دار العلم كما نعتها ، فزار جامعها  
ووصفه وصفا مسهباً وأتى له بطائفة من الصور البديعة ثم سار  
الى أشبيلية ، وهي عنده مدينة الطرب وهناك زار قصر الزهراء  
ووصفه وصفا دقيقاً ومن أشبيلية سار الى اختها غرناطة مقر الحراء  
فوصفها في حماس قوى وإعجاب شديد .

وما أحده للمؤلف تلبسه الروح العربية في تلك البلاد ، بما يشهد  
بدقة ملاحظته ، ففي مجريط أحسن تلك الروح في كرم أهلها ، ووفرة  
الطعام على مواطنهم ، وفي طليطلة رآها في نوافذها وأبوابها الدمشقية

وفما يعرضه الباعة في الطرقات من اقشة زاهية الألوان ، من أساور  
وأقراط و . . . بقج ، مقصبة وأسلحة وحلى . . . الخ وفي قرطبة  
وأشبيلية وغرناطة تجلت له تلك الروح في عادات الناس وفي شكل  
المازل ذوات الردهات الفسيحة والايواب والنوافذ المرية ، وفيما  
رآه من امثال بائعي البوظة ، والليمونادة ، وهم يضربون صحنهم  
ويصيحون في لحن عربي على نحو ما يشاهد في شوارع دمشق .

ولئن قدرت قيمة الكتب بما تتركه من أثر في نفوس قارئها  
فأني أشهد ان هذا الكتاب من أجل الكتب في باب ومن أعظمها  
فائدة ، وكما ان تلك الآثار المخزونة الجميلة التي وصفها تعد دمة  
أرسلها التاريخ على ما فات من مجد العرب فان هذا الكتاب يعتبر  
بدوره دمة كريمة على ذلك المجد وعلى تلك الآثار .

يسد أني على الرغم من إعجابي اصارع المؤلف بان أسلوبه مع  
الأسف لا يتمشى مع روح الكتاب ولا يتناسب مع ما يحثريه من  
فن وأدب ، ولولا حماسة الكاتب ، ودقة وصفه ، وتدقيق معانيه ، لفقد  
الكتاب بذلك الأسلوب كثيراً من قوته ، هذا عدا ما فيه من  
هفوات تاريخية لأحبها له ، كقول المؤلف : ان معاوية بن هشام  
ابن عبد الملك المسمى بالداخل أتى من الشرق هارباً عام ٧٥٩م والواقع  
ان الذي جاء هارباً من الشرق هو ابنه عبد الرحمن الداخل ، وكان  
ذلك عام ٧٥٦م . وقوله ان العرب طردوا من الأندلس في القرن  
الرابع عشر ، والصحيح أنهم لم يطردوا إلا في أواخر القرن الخامس  
عشر عام ١٤٩٢م .

ولكن ذلك لن ينقص من جوهر الكتاب إلا كما ينقص من  
جمال الحسناء شذوذ بسيط في نظام ملابسها المؤلف كفيل بان يزيل  
هذا النقص حتى يكون الكتاب من جميع جهاته جديراً بفنه  
وعله وأدبه . م . الخفيف

## المعرض العربي في القدس

سيفتتح في ٧ تموز ( يوليو ) سنة ١٩٣٣

— ( ويدوم شهراً ) —

القدس مصيف جميل — فاقصدوها مصطفىين

متفرجين على المعرض العربي

فائدكم من زيارة المعرض — تزيد أضعافاً

عن تصحيانكم المادية في سبيله

تجارة — صناعة — فن — تسلية — خدمة